التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 179 السنة العشرون - أكتوبر 2022

«التقدمي» يعلن قائمة مرشحيه للانتخابات النّيابيّة

إبراهيم ديتو
وجه مضي آخر يغادرنا

موقفنا

الوضع المعيشي يتفاقم

قبل نحو خمسة عشر عاماً أعلنت الجهة الرسميّة المعنيّة بالتنمية الاجتماعيّة إنها رفعت تقريراً يُفيد بأن البحرين استوفت شروط الألفيّة التي تُطالب المنظمات الدّوليّة المعنيّة بمراعاتها، خاصةً على صعيد الفقر والاهتمام بالبيئة والخدمات الصّحية والتّعليميّة.

في حينه تساءل المنبر التقدمي كيف يصح القول إن البحرين قد تغلبت على مشكلة الفقر، فيما نحن شهود على اتساع هذه الظاهرة بانضمام أعداد جديدة إلى من يمكن أن يندرجوا في خانة الفقر، ليس فقط بسبب الأعداد المتزايدة من الشبان الذين يصبحون في أعمار الدخول إلى سوق العمل سنوياً، مع عجز هذه السوق عن استيعابهم، وإنما أيضاً بسبب تدهور مكانة أفراد الفئات الوسطى، أمام تآكل القدرة الشرائيّة لمداخليهم ومدخراتهم.

وما يُقال عن الفقر يُقال أيضاً عن الحال البائسة للبيئة في بلادنا بسبب تدمير المناطق الخضراء، بحيث انحصر النّقاش في الحفاظ على مجرد حزام أخضر محدود ما زلنا عاجزين عن حمايته بسبب الجشع في الاستحواذ على الأراضي وتحويلها إلى مشاريع عمرانيّة، فيما يجري ردم مساحات البحر بصورة هستيريّة جرياً وراء رنين الذهب، دون أن نتحدث عن تلويث المناطق السّكنيّة بالغازات والأتربة السّامة.

أما عن خدمات الصّحة والتّعليم فيبدو افتراءً القول إنها تتحسن، حيث يزداد الضّغط على الخدمات العامة أضعاف المرات، فيما مستواها يتدنى، والبنية الأساسيّة المتوفرة حالياً أعجز من أن تُغطي الزّيادة الواسعة في عدد السّكان، لأنها صُممت في الأصل لاستيعاب أعداد أقل بكثير.

إذا كان هذا الكلام صحيحاً قبل كل هذه الأعوام التي انقضت، ما عسانا سنقول اليوم، فالأمور لم تتحسن خلالها وإنما تزداد سوءاً، خاصة مع فرض المزيد من الضّرائب، وبينها ضريبة القيمة المضافة التي جرت مضاعفتها خلال فترة قصيرة، وتنعقد النّية لدى أصحاب القرار برفعها مرة ثالثة لتصبح 15٪ في الأفق المنظور، كما جرى مصادرة واحد من أهم حقوق المتقاعدين، وهو الزّيادة السّنوية المقررة على معاشاتهم، ووقف هذه الزّيادة اعتداء على حق مكتسب واهدار لهذا الحق لا عدالة فيه.

يتزامن ذلك مع خطط حديثة لخصخصة الخدمات الطّبيّة، رغم الدروس البليغة لمواجهة جائحة كورونا، التي أظهرت أهمية دور الدّولة في الرعاية الصحيّة، كما تزداد الشكاوى، مع بدء العام الدراسي الجديد من تدهور وتراجع ملحوظين في الخدمات التّعليميّة، وتقادم البنية التّحتيّة للتعليم من مدارس ومختبرات ومواصلات وغيرها.

التقدمي

في المؤتمر الصحفي لإعلان "تقدّم"

تحت شعار: ليبقى الصّوتً الوطنيّ حاضراً

التقدمي يعلن قائمة مرشحيه للانتخابات النّيابيّة

قال الأمين العام للمنبر التقدمي، الرفيق عادل المتروك، إن التقدمي يتطلع من خلال المشاركة في الانتخابات القادمة في حال وفق بفوز مرشحي قائمته نحو إعادة صياغة العلاقات التي تنظم تصحح العلاقة بين الدولة من جهة ومكونات المجتمع من الجهة الأخرى، انطلاقاً من القناعة الراسخة بأن العمل البرلماني هو أحد أوجه العمل السياسي المهة، وأنه، في الوقت نفسه، لا يشكّل بديلاً عن العمل الشعبي خارجه.

بدوره أكّدّ الرفيق عبدالجليل النعيمي رئيس لجنة «التقدمي» العليا للانتخابات النيابية القادمة على أن نتيجة الانتخابات القادمة إما أن تعيد مجلس نواب بميزان قوى يُقعد البرلمان عن ممارسة صلاحياته ولعب دوره الرقابي والتشريعي الحقيقيين، وإما أن يغير الناخب هذا الميزان فيوصل بإرادته الحرة إلى المجلس النيابي نوابا تقدميين ووطنيين ديمقراطيين ليصبحوا غلبة تستطيع أن تحدث تغييرا.

جاء ذلك في المؤتمر الصحفي في مقر التقدمي الذي انعقد صباح السبت الموافق الأول من هذا الشهر، اكتوبر، وأعلن فيه التقدمي قائمته الانتخابية «تقدّم» للانتخابات النيابية المقررة في الشهر القادم، حيث أكدّ المتروك على أن البحرين تعاني من أوجه خلل كثيرة في الأداء الحكومي، خاصة مع ازدياد الميل نحو النهج النيوبرالي، بما يتضمنه من تخلي الدولة عن كثير من واجباتها تجاه مواطنيها.

وأكدّ الأمين العام على أن للتقدمي مشاركات عدة في الانتخابات النيابية والبلدية السابقة، حيث سعى سواء في الحملات الانتخابية أو عبر من وفقوا بالنجاح في الانتخابات ووصلوا إلى قبة البرلمان من أعضائه وأصدقائه على الدفاع عن حقوق الشعب، وخاصة الطبقات الفقيرى ومحدودة الدخل، وفي تبني قضايا الوطن الكبرى.

فيما أوضح النعيمي أن «التقدمي» يؤمن بأن مشاركته خطوة أولى مهمة للغاية لتحريك الجمود الذي لا يزال ضاربا في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولكن لا «نركن أبدا إلى أن البرلمان، بضيق المساحة المتاحة أمامه، قادر على أن ينجز شيئا جوهريا، ما لم يُرفد بأشكال النضال الجماهيرية المختلفة واستنفار طاقات النقابات العمالية والمنظمات السياسية والاجتماعية الأخرى بما يبدي ضغطا شعبيا للاستجابة لما تمليه ضرورات معالجة الأزمات المنعكسة سلبا على الاقتصاد والسياسة وعيش المواطن».

سلمان: شاركنا في خمس لجان تحقيق

من جانبه قال النائب الأول لرئيس مجلس النواب ومرشح «تقدّم» للانتخابات القادمة عن الدائرة السادسة في المحافظة الشمالية، عبدالنبي سلمان، إن كتلة «تقدّم» ورغم كل الصعوبات استطاعت أن تطرح العديد من الملفات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الفصل التشريعي المنتهي، بالتعاون مع عدد من النواب الوطنيين المخلصين لقضايا شعبهم، والذين يتراوح عددهم بين 15 – 18 نائباً من ضمنهم نواب»تقدّم» الثلاثة، التي شارك أعضاؤها في خمس لجان تحقيق، تتصل بأكثر القضايا حيوية وصلة بهموم الناس والمجتمع، وأكدّ أن الصوت الوطني سيظل باقياً في المجلس القادم في حال نجح نواب الكتلة في الوصول إليه، حيث سيسيرون على ذات النهج الذي اتبعوه في المجلس السابق.

وفي المقارنة بين أداء مجلس 2002 الذي كان فيه للمنبر التقدمي تمثيل وبين المجلس السابق، قال سلمان لا بد من أن نأخذ بعين الاعتبار مجمل التراجعات التي حصلت في البلاد في الفترة بين المجلسين، والتي انعكست على أوجه كثيرة بينها تركيبة وصلاحيات ودور السلطة التشريعية، دون أن يثنينا ذلك عن الحرص على استخدام العمل البرلماني كأحد أدوات العمل السياسي.

وأعطى سلمان مثالاً بما قامت به «تقدّم» ونواب آخرون من تفعيل لأداة المناقشة العامة، كإحدى الأدوات الرقابية للمجلس، ولكن حتى هذه الأداة جرى الحدّ منها بتعديلات وافق عليها للأسف غالبية أعضاء المجلس، بدل أن يعملوا على توسيع صلاحيات مجلسهم.

شويطر : قضايا المرأة في مقدمة أولوياتي

أما مرشحة تقدّم عن الدائرة العاشرة في محافظة

عبدالنبي سلمان

إيمان شويطر

فلاح هاشم

مهدي الشويخ

العاصمة، إيمان شويطر، فقد أشارت في كلمتها في المؤتمر الصحفي إلى أنها سبق وأن ترشحت لانتخابات عام 2018، حيث أوصلها الناخبون إلى الدور الثاني وبنتيجة وازنة، ما شجعها على إعادة ترشيح نفسها، كما شجعها الدور المشرف الذي أداه رفاقها وزملائها في كتلة «تقدم» والنواب الوطنيين الآخرين في الفصل التشريعي السابق دفاعاً عن مصالح الفئات الشعبية الواسعة.

وقالت شويطر: «وحيث أنني منذ سنوات الثمانينات، ناشطة في الحركة النسائية الوطنية والعربية والعالمية وملتزمة بقضايا المرأة من منطلقات وطنية تقدمية، فسأعمل من أجل تجسيد ممارسة المرأة لحقها الدستوري وتعزيز مشاركتها في الحياة السياسية، ووصولها إلى البرلمان كنائبة. فهي حريصة وقادرة على حمل قضايا المرأة وطرح وتطوير التشريعات والقوانين التي تكفل للمرأة حقوقها وتصون كرامتها».

وأضافت في كلمتها: «أؤمن بأن المرأة في بلادي تمتلك وازعا فطريا عاليا لحماية الأسرة والطفولة والأمومة، والعجز والشيخوخة وذوي الاحتياجات الخاصة. رعاية هؤلاء ليست واجب الأسرة والمجتمع فقط، وإنما الدولة بدرجة رئيسية. وعندما تتجه الدولة إلى سن الضرائب والرسوم المتتالية وإجراءات رفع الدعم عن أسعار السلع والخدمات الضرورية التي تَقتَطِع من دخل من يرعى هؤلاء من جهة، وتعني تراجع الدولة عن التزاماتها الاجتماعية من جهة أخرى، فهذا يتهدد المجتمعَ والدولةَ معاً بالضررِ وزعزعةِ الاستقرار. سأدعو إلى عودة الدولة إلى الوفاءَ بالتزاماتها الاجتماعية وتطوير هذه الالتزامات».

هاشم: كشفنا أوجه القصور في ملف التقاعد

النائب فلاح السيد هاشم مرشح «تقدّم» للانتخابات عن الدائرة الخامسة في المحافظة الشمالية، قال إن الكتلة الترمت في الفصل التشريعي السابق بما نصّ عليه برنامجنا الانتخابي، وخاصة في أولويات حقوق المواطن البحريني في العمل للجميع وفي خدمات تعليمية وصحية واسكانية وتقاعد منصف، بكل ما تمكننا به الأدوات البرلمانية التي نصّ عليها الدستور واللائحة الداخلية لمجلس النواب، رغم كل الصعاب والمعيقات، حيث تقدّمنا بالعديد من مقترحات القوانين والعديد من الأسئلة للوزراء، وشاركنا في العديد من لجان التحقيق، كما عملنا على تفعيل أداة المناقشة العامة في العديد من المواضيع وأشار إلى أن من المواضيع التي تصدرت عمل الكتلة ملفات البطالة والتقاعد والخدمات التعليمية والصحية والخدمات اللإسكانية وسياسات سوق العمل، وسواها من موضوعات متصلة بأكثر اهتمامات وحاجات المواطن البحريني حيوية، صدرت في بعضها وعلى اثر ما تقدمت به «تقدّم» وبالتعاون مع مجموعة من النواب بعض التشريعات او القرارات والتنفيذية، وستظل في سلم الأولويات.

وأعطى هاشم مثالاً بالنجاح في تشكيل لجنة تحقيق في ملف التقاعد، أصدرت تقريراً «كشفنا فيه عن العديد من أوجه القصور وسوء إدارة الهيئة وإستثماراتها ووافق عليها المجلس ورفعت للحكومة، وكنا على أمل أنه إذا ما تمّ الأخذ بهذه التوصيات أن لا يجري الانتقاص من مكتسبات المتقاعدين، تحت مظلة ما أطلق عليه (إصلاح التقاعد) ألا اننا وكجموع المواطنين خذلنا من مجموعة من النواب صوتت معنا على ذالك التقرير وبكل ما حواه من توصيات، إلا انها أيضاً وفي إتجاه معاكس صوتت على الاتنقاص من حقوق ومكتسبات المواطنين في تعديلات قانون التقاعد».

وأشار هاشم إلى أنه وزملائه في قائمة «تقدّم» يعودون «بنفس العزيمة لمواصلة المشوار، وسيبقون على ما عهدتمونا عليه، صوت المواطن البحريني بجميع شرائحه وفئاته، وخاصة اصحاب الدخل المحدود والكادحين وصغار التجار».

الشويخ: نحتاج برلماناً بتركيبة جديدة

الدكتور مهدي الشويخ المرشح الرابع في «تقدم»، عن الدائرة الأولى في المحافظة الشمالية، أكدّ أن القائمة ستعمل مع كل الخيّرين من النواب، من أجل الدفاع عن حقوق شعبنا وتوفير الحياة الحرة الكريمة له، والإسهام في احداث تحوّل ديمقراطي لبلادنا على قاعدة التوافق الوطني والعمل سوية من اجل مصلحة البحرين والحفاظ على وحدة مجتمعنا بكل مكوّناته، ومن أجل إطلاق الحريات الديمقراطية وصيانة الوحدة الوطنية والسلم وتحقيق التقدم الاجتماعي، بالعودة إلى الأسس التي قامت عليها المسيرة الإصلاحية لتجنيب الوطن كافة المخاطر، وفتح الطرق أمام تطوره من كافة الأوجه، سياسياً وتنموياً.

وأكدّ الشويخ على أننا في حاجة إلى مجلس نيابي قوي به كفاءات وطنية تنشد الإصلاح الحقيقي والتصدي لكل مايعيقه من فساد ومفسدين يجب أن يخضعوا للمساءلة، وأن يولي المجلس عناية للنهوض بالبنية التحتية خاصة في المناطق المهمشة والمكتظة بالسكان، وكل هذه ملفات سنوليها اهتمامنا الكبير، انسجاماً مع أهداف برنامجنا الذي ينشد العدالة الاجتماعية للمواطنين في العمل وفي الصحة وفي التعليم والسكن وعند التقاعد والتمتع بكافة حقوقهم دون انتقاص، وبوقوف ابناء شعبنا مع هذا البرنامج وممثليه يمكننا أن نوصل صوتنا الوطني المدافع عن حقوق الناس إلى المجلس النيابي، وهذا ما نطمح إليه ونثق فيه.

وشدّد الشويخ على أننا اليوم في حاجة لتركيبة جديدة لمجلس النواب، تراقب الأداء الحكومي بيقظة وتحاسب المقصرين، ويلتفت أعضاؤه إلى الملفات الكبيرة والمهمة وفي مقدمتها البطالة في صفوف الشباب خاصة، الذين تعاني قطاعات واسعة منهم من الخيبة، بسبب عجزهم في تغطية نفقاتهم وأصبح الآباء عاجزين بشكل متزايد عن إعالتهم مما يشكّل مشكلة وطنية تحتاج توحيد جهود القوى الطامحة للتغيير نحو دولة المواطنة.

لجنة المتقاعدين بالتقدمي:

معالجة شاملة لملف التقاعد والمسؤولية على عاتق الحكومة

أكد المنبر التقدمي عبر لجنة المتقاعدين على أن ملف المتقاعدين وتوفير الأمن الاجتماعي لهم ولأسرهم وإعادة النظر في ما مَسّ حقوقهم ومكتسباتهم يجب أن يكون في صدارة أولويات الحكومة في الفترة المقبلة، كما تقع المسؤولية على مجلس النواب في فصله التشريعي المقبل.

ودعت اللجنة الأطراف والجهات المعنية إلى معاودة بحث هذا الملف بمنتهى الشفافية والجدية عبر حوار وطني هدفه إجراء معالجات جذرية وشاملة لكل أوجه الخلل والقصور التي تشوب هذا الملف من كافة الأوجه في المقدمة منها ما يتعلق بكفاءة الجهاز الإداري وحوكمة إدارة الأموال واستثمارات الهيئة وعوائدها، والتمثيل العمالي في مجلس إدارة التأمينات وعبر تعيين أفضل الكفاءات لإدارة استثمارات الهيئة.

وفي الوقت الذي أثنت فيه لجنة المتقاعدين بالمنبر التقدمي على أداء كتلة «تقدّم» وجدية تعاطيها مع هذا الملف في الفصل التشريعي السابق، وتستذكر بتقدير كبير مواقف الكتلة الواضحة إزاء محاولات الانتقاص من حقوق ومكاسب المتقاعدين ومعالجات العجز الاكتواري وإصلاح واستدامة صناديق التقاعد باعتبارها تمثل حجر الزاوية في الأمن الاجتماعي والاستقرار الأسري، فإنها في الوقت ذاته تبدى شديد أسفها على إقرار مجلس النواب التعديلات التي طالت قانون التقاعد عبر موافقة 26 نائبًا ورفض 14 نائبًا لهذه التعديلات في المقدمة منهم نواب كتلة تقدّم، مما أثار العديد من التساؤلات وخلق المزيد من القلق في أوساط المتقاعدين الذين سلبت منهم حقوق وامتيازات عديدة.

واعتبرت لجنة المتقاعدين بأنه: «ليس من اللائق أن تكون أوضاع كثير من المتقاعدين مؤرقة بعد هذه السنوات الطويلة في خدمة الوطن ومساهمتهم الفاعلة في تطوير العجلة الاقتصادية للبلاد، حيث يتم تجاهل هذا الوضع عبر الهروب من محاولة البحث عن السبل الكفيلة للنهوض بواقع المتقاعدين خاصة في ظل ما يعلن عن مواصلة خطة التعافي الاقتصادي ونمو الإيرادات مدعومًا بنمو العوائد النفطية ونجاح خطط تعزيز الاستدامة المالية والاستثمار الاقتصادي والاستثمار في المشاريع الاستراتيجية».

وطالبت اللجنة كل الجهات ذات الصلة، تشريعية وتنفيذية ونقابية، أن تدفع ببرامج ما بعد التقاعد تشمل دعم وتحسين حياة المتقاعدين وأسرهم المعيشية ورعايتهم الصحية بالتسهيلات المختلفة في ظل ارتفاع التضخم والغلاء الجنوني، وبرامج لإعادة دمج المتقاعدين في سوق العمل والنشاط الاقتصادي ليظلوا قوة منتجة حسب طاقاتهم واستنادًا لخبراتهم الطويلة وإضافة مستمرة للاقتصاد الوطني.

لجنة البيئة بالتقدمي: سنّ تشريعات حمائيــة رادعــة ووقف الممــارســات المضــرّة

شدد المنبر التقدمي عبر لجنة البيئة على أهمية الشراكة المجتمعية الهادفة إلى المحافظة على البيئة في البحرين، وشددت على هذه الشراكة أصبحت ملحة لمواجهة كافة التحديات الراهنة والمستقبلية غير المسبوقة التي تؤثر على الوضع البيئي في البحرين. ودعت اللجنة إلى تفعيل دور منظمات المجتمع المدني بالشأن البيئي ودعم الجمعيات البيئية والنشطاء البيئيين لإعطاء الاهتمام بالقضايا البيئية.

شددت على أهمية استكمال المنظومة البيئية بما يصب في خدمة هدف تكامل الجهود الرسمية والأهلية واستمراريتها واستدامتها وجعل الملف البيئي بكل عناوينه في صدارة الاهتمامات والأولويات، وأعربت اللجنة عن أسفها لغياب الشأن البيئي والقضايا والسياسات البيئية والتغيرات المناخية سواء على صعيد المجلس النيابي في الفترة الماضية وما كان يمكن أن يلعبه من دور خاصة في مجال سن تشريعات رادعة في حماية البيئة ووقف الممارسات المضرة بالبيئة، أو على صعيد البرامج والأولويات التي تبناها وأعلن عنها معظم المترشحين في الانتخابات البرلمانية المقبلة، أو على صعيد التعليم والإعلام ونشر الوعي البيئي وترسيخ الاهتمام بقضايا المناخ والبيئة.

وأكدت اللجنة على أن التحديات البيئية أصبحت اليوم على مستوى العالم تحديات غير مسبوقة وتتصاعد من دون أفق حتى الآن وشهد العالم بعض تجلياتها فيما يجري من تغيرات مناخية، ونقص المياه، وموجات جفاف، وقد دقت الأمم المتحدة ناقوس الخطر حين أشارت إلى ارتفاع عدد حالات الجفاف في جميع أنحاء العالم بنسبة 29٪ منذ عام 2000 بسبب تدهور الأراضي وتغير المناخ، كما بدأ المستقبل قاتماً مع تفاقم مخاطر الملوثات والتحديات البيئية بوجه عام والتوقعات المتشائمة التي تمس المناخ والبيئة والطاقة وهي القضايا التي تتصدر اجتماعات الدورة السابعة والعشرين من مؤتمر تغير المناخ «كوب 27» الذي تستضيفه مدينة شرم الشيخ المصرية في نوفمبر القادم.

ودعت اللجنة إلى فتح حوار بين كل الأطراف المعنية حول الوضع البيئي والتحديات البيئية وتغير المناخ في العالم، وحول الجهود الوطنية في هذا المجال، والتكامل الخليجي بما يعزز قدراتنا على مواجهة هذه التحديات و يحقق أهداف التنمية المستدامة وفي نفس الوقت يؤكد التزام مملكة البحرين تجاه الاتفاقيات الدولية ذات العلاقة وفي المقدمة اتفاقية باريس لتغير المناخ، وشددت في هذا السياق إلى العمل على استراتيجية بيئية وطنية لتحقيق أعلى المستويات الممكنة للمحافظة على سلامة البيئة في البحرين.

الجمعيات السياسية تستنكر زيارة رئيس وزراء «الكيان» المرتقبة

أعربت الجمعيات السياسية عن رفضها واستنكارها للخطوات المتسارعة التي تتخذها الحكومة في التطبيع مع الكيان الصهيوني تعليمياً وتربوياً واقتصادياً وصحياً.

ونوهت الجمعيات بأن: «هذه التطورات تأتي وسط أنباء عن زيارة رئيس الكيان الصهيوني للبحرين قريبا ليدنس أرضنا الطاهرة بتاريخ من الجرائم والمذابح التي ارتكبها كيانه ضد شعبنا العربي الفلسطيني».

وطالبت الجمعيات السياسية: «الحكومة بالتراجع عن كافة خطوات التطبيع مع الكيان الصهيوني».

وقالت الجمعيات السياسية: المنبر التقدمي، تجمع الوحدة الوطنية، التجمع الوحدوي، التجمع القومي، الصف الاسلامي، المنبر الوطني الاسلامي، الوسط العربي الإسلامي، والتجمع الوطني الدستوري، بأن: « لقاء وزير التربية والتعليم مع نظيره الصهيوني للتنسيق في مجال مناهج التعليم هي خطوة مستهجنة ومرفوضة كونها تمس في الصميم القيم التربوية الوطنية والقومية والإسلامية الأصيلة للأجيال الحاضرة والمستقبلية وتفتح الباب أمام تشويه وتحريف هذه القيم، وهو نهج خطير للغاية ونطالب بالتراجع عنه حفاظاً على تاريخنا الوطني الأصيل».

وواصلت بأن: «لقاءات وزيرة اقتصاد الكيان الصهيوني مع وزيري المالية والتجارة والحديث عن بدء مفاوضات اتفاقيات التجارة الحرة لهو خطوة يراد بها التمهيد لغزو أسواق البحرين بالبضائع والسلع الصهيونية وإلحاق الضرر الفادح بالمنتوج الوطني والتاجر والمصنع البحريني، حيث ستدخل البضائع الصهيونية دون ضرائب، كما ستمنح الشركات الصهيونية ترخيص العمل في السوق المحلي بحرية تامة وفي كافة القطاعات».

رحيل الباحث جعفر الصايغ

وهذا العدد من «التقدمي» قيد الطباعة توفي الدكتور جعفر الصايغ أحد أهم الباحثين الاقتصاديين في البحرين، الذي عرف بمقارباته الجريئة والعميقة للقضايا الحيوية ذات الطابع المعيشي والتنموي في بلادنا، كماعرف أيضاً بمساهماته الواسعة في أنشطة المجتمع المدني المختلفة، خاصة تلك المهتمة بقضايا الاقتصاد والتنمية والشفافية، وقدّم في هذا المجال العديد من الأبحاث والأوراق العلمية، وكان لنا في نشرة «التقدمي» شرف نشر العديد منها على صفحات النشرة.

كما شارك الفقيد العزيز في أنشطة وندوات وورش عمل مختلفة نظمّها التقدمي في الملفات ذات الصلة باختصاصه، وحتى عندما ساءت صحته، لم يتردد في قبول دعوة من «التقدمي» للمشاركة في إحدى الندوات، رغم ظروف جائحة «كورونا».

رحم الله الفقيد، ولعائلته واصدقائه ومحبيه وزملائه صادق العزاء.

فضفضة

ليبقى الصوت الوطني حاضراً

عيسى الدرازي

أعلن المنبر التقدمي قائمته الانتخابية التي سيخوض بها السباق الانتخابي لمجلس النواب في نوفمبر المقبل. ضمّت قائمة التقدمي أربع شخصيات تميزت طوال عمرها السياسي بأدائها في المجال السياسي والنقابي والمهني، حيث كانت لهم مساهمات بارزة وجهود مخلصة في خدمة الوطن.

يعيد التقدمي الدفع بمرشحيه في كتلة «تقدّم» البرلمانية التي وقفت لصيقة بالمطالب الشعبية، وكانت الأمينة على إيصال صوت المواطن وإعلان موقف الشارع وأناة الناس تحت قبة البرلمان، وكانت لعبدالنبي سلمان وفلاح هاشم مداخلات ومواقف يشهد لهما بها، في وقوفهما مع زميلهم الثالث في "تقدّم" النائب يوسف زينل، وعدد آخر من النواب ضد تمرير تعديلات قانون التقاعد، ورفض ضريبة القيمة المضافة وكشفوا من خلال لجان التحقيق البرلمانية قصور أداء إدارة هيئة التأمينات الاجتماعية ومكامن القصور في شركة طيران الخليج.

كما فتحوا ملفات بحرنة الوظائف ومعادلة الشهادات الأكاديمية المعطلة في أدراج التعليم العالي، وغيرها من الملفات التي مرّت على الفصل التشريعي السابق التي كان لكتلة «تقدم» رأي وموقف لم ينفصلا أبداً عن صوت الشارع ولم تتخل يوماً عن نقل المطالبات الشعبية وأصوات المواطنين المطالبة بالعدالة الاجتماعية والمساواة ومناهضة التمييز وتحقيق الحياة الهانئة التي وُعدوا بها.

يستمر «التقدمي» في تقديم مرشحين لعضوية مجلس النواب على ذات الخط والنهج الذي سارت عليه كتلة «تقدّم" ويدفع هذه المرة أملاً في زيادة مقاعد الكتلة تحت قبة البرلمان بالدكتور مهدي الشويخ، وايمان شويطر، وهما من الشخصيات المهنية التي لها عطاء كبير الحياة السياسية والعملية على حد سواء، وسيكونون بلا شك سنداً وعضداً واستمراراً للصوت الوطني الذي يحرص التقدمي على تواجده في البرلمان.

يعلم «التقدمي» ومن خلفه اعضاءه في البرلمان السابق التعقيدات والإشكاليات التي وصل إليها العمل البرلماني، كما يعلم تماماً المحاذير والتحديات التي قد تواجه المرشحين في الانتخابات المقبلة أو تلك التحديات التي واجهت اعضائه في البرلمان، إلا أن الهدف الأسمى والأهم هو تقديم صوت وطني جامع للطوائف قافز على كل التقسيمات التي يُراد لها أن تشظي هذا الوطن، والمحافظة على وجود صوت يناصر المواطن فيما يتم مناقشته من ملفات وقضايا هي لصيقة بحياته وحياة أبناءه، ووصول المرشحين الأربعة الذين يدفع بهم «التقدمي» للانتخابات المقبلة ما هو إلا وسيلة وليست غاية بحد ذاته من اجل مزامنة العمل البرلماني والعمل السياسي الحزبي، من أجل المواطن من المحرق إلى البديع ومن الدراز حتى عسكر.

الصيّاد: توقعات البنك الدولي لنمو الاقتصاد العالمي خلال العام الجاري تدليسية

قال الخبير الاقتصادي الدكتور محمد الصياد بأن: «إن الحرب الروسية – الأوكرانية أدت إلى تفاقم الضرر الناجم عن جائحة COVID–19، ما أفضى إلى تفاقم التباطؤ في الاقتصاد العالمي، الذي يدخل ما يمكن أن يصبح فترة طويلة من النمو الضعيف وارتفاع التضخم المصحوب بالركود».

واعتبر الصياد في ندوة بعنوان "عالم على حافة الهاوية...الاقتصاد في الخلفية"، التي نظمها المنبر التقدمي بأنه: "من المتوقع أن ينخفض النمو العالمي من 5.7٪ في عام 2021 إلى 2.9٪ في عام 2022، أي أقل بكثير من نسبة الـ 4.1٪ التي كانت متوقعة في يناير الماضي"، مشيراً إلى أن: "توقعات البنك الدولي بالنسبة لنمو الاقتصاد العالمي لهذا العام، تنسجم مع قراءته التدليسية لوضع الاقتصاد العالمي"

وأوضح الصياد بأنه: "من علامات دنو ساعة الحقيقة بالنسبة للركود الذي لا تقاربه وسائط الميديا الغربية السائدة لحسابات سياسية، وأخرى نفعية تتعلق بحماية استثمارات الأوليغارشيا في الاقتصاد الورقي، اعلان خطط التقشف في استهلاك الطاقة في انحاء أوروبا".

وواصل: "يمكن أن يعزى ارتفاع الدولار إلى تحول مجلس الاحتياطي الفدرالي الأمريكي من سياسة صفر سعر فائدة الى بدء رفع معدلاتها بصورة متواترة (تبلغ اليوم نسبتها 2.5٪)، مقابل 0.50٪ في الإتحاد الأوروبي، و1.25٪ في بريطانيا، في حين استمر بنك اليابان في سياسته التي تعتمد على أسعار فائدة سالبة (–0.1٪) للحيلولة دون الوقوع في الركود".

وأشار الصياد إلى أن: "النظام أحادي القطبية، الذي تتم "صيانته دوريا" للمحافظة عليه وعلى نظام السلسلة الاحتكارية للقطاعات الاقتصادية العالمية الرئيسية، يعدّ واحداً من الأسباب الجذرية للأزمة العالمية، وتابع: "بموجب هذا النظام، لدينا مركز ضخم للاستهلاك هو أمريكا، التي تموَّل عجزياً هذا النهم الاستهلاكي بصورة مطردة بواسطة الاقتراض الخارجي، وبالتالي مراكمة ديون لا تتوقف عن التصاعد، وعملة احتياط فقدت معظم مصادر قوتها المرتبطة بنخاع الأساسيات الاقتصادية، ونظام واحد مهيمن لتقييم الأصول والمخاطر، تمثله ثلاث وكالات تصنيف ائتمانية أمريكية". موضحاً بأنه: "يفسر انخفاض جودة عمل الهيئات التنظيمية للأسواق والاقتصاد بوجه عام، والمسوغات المتهالكة للتقييمات الاقتصادية التي تجريها الحكومات ووكالات التصنيف". مشدداً إلى أن: "النتيجة هي الأزمة التي لا يمكن تفاديها".

في ندوة عن "الكوتا النسائية" بمقر التقدمي

إسماعيل: التمثيل البرلماني للمرأة البحرينية لا يتناسب ومكانتها في المجتمع

قال المحامي الرفيق حسن اسماعيل بأنه: «حسب تقرير صادر عن هيئة المعلومات والحكومة الالكترونية عام 2016 يشكل الإناث في مملكة البحرين حوالي 49٪ من أجمالي المواطنين وهي نسبة متوازنة مع نسبة الذكور»، وأضاف: «بل أن نسبة المشاركة النسائية تفوقت على الرجال في انتخابات 2006 و 2010».

وكان اسماعيل متحدثاً في ندوة بعنوان «لماذا الكوتا النسائية في الانتخابات النيابية؟»، التي نظمّها «التقدمي» بمعية المحامية زهراء الوطني، التي طرحت في ورقتها رؤية رافضة لمبدأ الكوتا النسائية داعية إلى عدم التمييز بين الرجل والمرأة في الانتخابات.

ونوه اسماعيل إلى أن: «فوز المرأة بستة مقاعد في المجلس النيابي في 2018 وأن كل الفائزات كن مستقلات وغير مدعومات من الجمعيات السياسية لا يشير إلى تغيّر في المزاج العام للتصويت باتجاه المساواة بين المترشحين ليكون البرنامج الانتخابي هو الفيصل في الاختيار، ذلك أن هذا الإنجاز يتعين قراءته من خلال المؤشرات الرقمية من حيث عدد الأصوات التي حصلن عليها وعدد الكتلة

الانتخابية والظروف التي طرأت على العملية الانتخابية بعد احداث 2011 من مقاطعة، ومن حيث الكفاءة».

وأوضح اسماعيل بأن: «المرأة اخفقت في الوصول إلى الجناح المنتخب من السلطة التشريعية بعدد معقول وكاف يتناسب ومكانتها في المجتمع البحريني، وان تمكنها بهذا العدد المحدود في الفصول التشريعية الخامسة السابقة كان إما بالتزكية ، او في ظل مشاركة ضعيفة»، وتابع: «في دراسة للمجلس الاعلى للمرأة حول (المرأة البحرينية في انتخابات 2006 الفرص والتحديات)، أرجعت أسباب هذا الاخفاق لعوامل اقتصادية، ومجتمعية وثقافية، وعوامل مرتبطة بأداء المرشحات وبالمؤسسات الداعمة للمرأة، وأوصت الدراسة بعدد من التوصيات منها اتخاذ تدابير مؤقتة لدعم المرأة وزيادة فرصها في النجاح وفق ما جاء في اتفاقية السيداو».

وأشار اسماعيل إلى أن: «البحرين مازالت تعارض اعتماد تدابير خاصة ومؤقتة لتمكين المرأة ولم تنفذ أي من توصيات اللجنة المتعلقة بهذا الشأن بحجج مخالفتها للدستور والميثاق أو أن البحرين تجاوزت مراحل تمكين المرأة بعدما أصبحت المرأة البحرينية تحظى ببيئة مؤاتية تتوفر فيها كل المقومات التي تتيح للمرأة المشاركة التلقائية والطبيعية في الحياة العامة».

في محاضرة نظّمتها اللجنة الثّقافيّة

يوسف مكي يقدّم كتابه عن التجربة الشعرية المؤودة للشهيد سعيد العويناتي

قال الكاتب يوسف احمد مكي إن الكثيرين من أبناء الجيل الحالي قد لا يعرفون شيئاً عن الشاعر البحريني الشهيد سعيد العويناتي، لكن الجيل السابق، خاصة جيل السبعينات، يعرف جيداً من هو سعيد وما هو دوره على صعيد ثقافة السبعينات عموماً ودوره على مستوى الحركة الشعرية الطالعة خلال ذلك العقد خصوصا.

جاء ذلك أثناء محاضرة نظمتها اللجنة الثقافية في «التقدمي»، وقدّم خلالها الكاتب كتابه: «الشاعر البحريني سعيد العويناتي (1950 – 1976) – قراءة في التجربة الشعرية المؤودة» الصادر مؤخراً عن دار سؤال في بيروت، وعزا مكي سبب عدم معرفة أجيال اليوم لسعيد العويناتي وتجربته إلى عدة أسباب، أهمها موته التراجيدي المبكر والمباغت في السجن، حيث مثّل ذلك خسارة مركبة لا تعوض للشعر وللثقافة، وصدمة لأصدقائه ومحبيه، وهو الذي كان يحظى باهتمام واحترام الجميع من العامة والخاصة.

وقال المحاضر إن اهنمامه بالتجربة الشعرية للشهيد يعود إلى بدايات إطلاعه عليها، حيث فهم مبكراً أن اشعار سعيد ليست عادية، ولا تشبه الشعر العمودي الذي تعوّد عليه قبل ذلك، وتولّد لديه اثناء قراءاته لشعر سعيد مرات ومرات، احساس لا يقاوم بأن لدى الشاعر الكثير مما يقوله، وما تلك القصائد إلا مجرد البداية.

كما أشار إلى أنه ومن منطلق اهتمامه القديم بشعر سعيد وفي ضوء ما استجد من قصائد إضافية له، فإنه سعى في كتابه لتقديم قراءة تتناول مختلف أبعاد تجربة العويناتي الشعرية من النواحي الفنية والسياق التاريخي والاجتماعي والسياسي وكذلك الجوانب الثقافية والايديولوجية التي لازمت تجربة الشاعر، هذا فضلا عن بعدي الزمان والمكان، ومختلف الابعاد التي لعبت دورا في تجربة الشاعر وترتبط بها في علاقة جدلية.

وبالإضافة الى التعريف بشخصية الشاعر الشهيد سعيد فإن الكاتب توقف في كتابه عن

السياق التاريخي لتجربته الشخصية والشعرية، والنصوص السابقة لصدور ديوانه اليتيم: «إليك ايها الوطن.. إليك أيتها الحبيبة»، ثم توقف عند نصوص الديوان نفسه، وأيضاً عند النصوص التي كتبها سعيد بعد صدورهذا الديوان، وقبل استشهاده بقليل وتضمنتها الطبعة الثانية من الديوان الصادرة عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في العام 1986.

الخلود لذكرى الشهيد هاشم العلوي

في الثامن عشر من سبتمبر 1986 سقط الدكتور هاشم العلوي الكادر المتقدم في جبهة التحرير الوطني شهيداً تحت التعذيب الوحشي الذي تعرض له في أقبية أمن الدولة، وكان الشهيد هاشم قد اُعتقل في نطاق حملة قمعية واسعة طالت العشرات من كوادر ومناضلي الحبهة، شملت عمالاً وطلاباً ومحامين وأطباء وموظفين، ولم تستثنِ النساء رداً على تصاعد نضال الجبهة للمطالبة بإطلاق الحريات العامة وإعادة الحياة الدستورية والنيابية المعطلة.

وأمام الصمود البطولي الذي أظهره الشهيد عذّبه الجلادون حتى استشهد، ليعيش حياً في نفوس وقلوب وعقول رفاقه وأصدقائه، وليبقى خالداً في الحيز المضيْ من ذاكرة شعبنا وتنظيمنا والحركة الوطنية والديمقراطية البحرينية التي ناضلت في أشد الظروف صعوبة من أجل الديمقراطية والحرية والتقدم الاجتماعي، وقدمت بالإضافة إلى الشهيد هاشم الشهداء سعيد العويناتي ومحمد غلوم ومحمد بونفور، إضافة إلى المئات من المعتقلين والسجناء السياسيين والعشرات من المنفيين.

يحيي المنبر التقدمي والمناضلون الوطنيون والتقدميون في هذا اليوم الذكرى العطرة للشهيد البطل، ويجددون إرادتهم في مواصلة السير على الطريق الكفاحي الذي استشهد فيه من أجل تحقيق ما حلم به الشهيد: وطن حر وشعب سعيد.

وفي الذكرى السنوية لاستشهاده قام عدد من الرفاق تتقدمهم أرملة الشهيد الرفيقة إيمان شويطر على جري عادتهم كل سنة بزيارة قبره، ووضع الزهور عليه.

العـــالـــم فـــي أزمـــة بحـــث عـــن «يـــد عـــاملـــة»

يزداد الطلب بشدة في جميع أنحاء العالم على العمال والموظفين، وسط نقص في اليد العاملة.

وأوضحت أريان كورتيس، الخبيرة الاقتصادية لشركة «كابيتال إيكونوميكس» في تورونتو أن «الشركات لا تزال تقول في استطلاعات الرأي العالمية أن التوظيف في غاية الصعوبة» منذ تفشي الوباء. ولفتت إلى مشكلات حادة في دول أوروبا الغربية وأميركا الشمالية، إنما كذلك في أوروبا الشرقية وتركيا وأميركا اللاتينية.

وأفادت منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي في تقرير في يوليو الماضي بأن الضغوط حول الوظائف الشاغرة تصاعدت بحدة في نهاية 2021 في الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا وكندا بالمقارنة مع ما قبل الوباء.

وكان نقصٌ في العمال يُسجل من قبل بسبب شيخوخة الشعوب التدريجية، غير أن الظاهرة تصاعدت فجأة مع «كوفيد -19»، والأسباب خلف ذلك متعددة، منها التقاعد المبكر وأعراض كوفيد الطويلة الأمد والأجور المتدنية وظروف العمل الصعبة وإعادة توجيه المسار المهني بهدف تحقيق الذات، والتراجع الحاد في الهجرة بسبب تدابير الحجر، والانتقال إلى خارج المدن الكبرى التي تؤمّن أكبر نسبة من الوظائف، وغيرها من العوامل... ولم يشهد العالم في تاريخه الحديث تطوراً كان له مثل هذا التأثير على مفهوم العمل بحدّ ذاته.

«الشرق الأوسط» – 9 سبتمبر 2022

تصنيف ارتفاع الضغط خـلال العمـل كإصابـة مهنيـة

أصدرت وزيرة الصحة جليلة السيد، قراراً بتحديد قائمة الأمراض المهنية، ونسب العجز الناجمة عن هذه الأمراض.

وصنف القرار المنشور في الجريدة الرسمية نزيف المخ وانسداد شرايين المخ الذي ينتج عنه شلل نصفي غير قابل للشفاء بسبب العمل على أنه عجز بنسبة 100 ٪.

وصنف أيضاً من بين هذه الأمراض ارتفاع ضغط الدم بسبب الجهاز النفسي العصبي، والموت المفاجئ بسبب الإجهاد النفسي الشديد، و»نزيف تحت العنكبوتية»، ونزيف المخ بسبب الإجهاد النفسي، أو أي أمراض أخرى في القلب والأوعية الدموية تسببها ظروف موجودة في أنشطة العمل.

فيما صنف النسيان الشديد وعدم التركيز مع إهمال مظاهر النظافة الشخصية أو فقدان شديد للاستمتاع بالحياة، والحاجة إلى تعديل جذري لمهام الشخص الوظيفية على أنه عجز بنسبة 65٪.

وأشار القرار إلى من يتأثر بوضوح في النواحي الاجتماعية أو لديه نوبات قلق وهيجان وخوف غير مبرر من تكرار إصابته أثناء العمل بأنه عجز بنسبة 20٪، وأما من يعاني من تدهور واضح في علاقاته الأسرية بسبب إصابات العمل، فإنه عجز بنسبة 40٪ بحسب تصنيف القرار.

«الوطن» – 19 سبتمبر 2022

مؤتمر العمل العربي يدعو لـرفع كفـاءة القوى العاملـة

دعا مؤتمر العمل العربي إلى ضرورة الإسراع في التحول إلى التقنيات الرقمية وجعلها أكثر تأثيرًا في المجالات الاقتصادية ونشر المعرفة الرقمية.

ودعا المؤتمر إلى وضع برامج للتطوير، ورفع كفاءة القوى العاملة بما يسهم في رفع قدراتهم ومهاراتهم، وبما يتواكب مع التغيرات الدولية في مجال التغيرات التقنية، وكذلك العمل على تنويع مصادر التمويل، وتحفيز الاستثمار في مجال التكنولوجيا الرقمية، والعمل على تخفيف القيود التجارية فيما يخص السلع والخدمات، وتسهيل تنقل العمال بين الدول العربية.

وأوصى المشاركون في ختام أعمال الدورة 48 للمؤتمر بالعمل على وضع استراتيجيات رقمية في الوطن العربي عبر إنشاء بنية تحتية توائم التحولات الرقمية، وإيجاد تدريب عال على الوظائف الرقمية، فضلا عن إيجاد مؤسسات بحث علمي تواكب التطورات التكنولوجية المتسارعة.

«وكالة أنباء الشرق الأوسط» – 21 سبتمبر 2022

شركة عملات رقمية تستغني عن 30 موظفا بحرينيا

بررت شركة «رين» المتخصصة في العملات الرقمية المشفرة الاستغناء عن 30 موظفاً بحرينياً بسبب ما تتعرض له أسواق العملات المشفرة العالمية من ضغوط كبيرة ولضمان قدرة الشركة على مواكبة التحديات، حسب تعبير الشركة.

وقالت الشركة في بيان لها بانها استغنت عن الموظفين البحرينيين امتثالاً للمتطلبات التشغيلية في ظل الظروف التي تمر بها الأسواق العالمية.

وتعتبر شركة «رين» أكبر بورصة للعملات المشفرة في الشرق الأوسط وتتخذ من البحرين مقراً لعملياتها، كما إنها أول شركة من نوعها تحصل على ترخيص من مصرف البحرين المركزي عام 2019.

«الحرة» – «الأيام»–
1 سبتمبر 2022

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

على البرلمان المقبل إصلاح سوق العمل واستدامة صناديق التأمين الاجتماعي

أكد الأمين العام المساعد للإعلام والنشر والمتحدث باسم الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين وليد نصيف أن على البرلمان القادم إعادة النظر في التعديلات المعتمدة في قانون التقاعد والعودة للقانون قبل التعديل، والعمل برؤية الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين لإصلاح سوق العمل واستدامة صناديق التأمين الاجتماعي، تحسين خدمات التعليم والصحة والإسكان وزيادة موازنة الوزارات المعنية ووقف برامج الخصخصة في التعليم والصحة والإسكان، والتصديق على الاتفاقيات الدولية الأساسية المعنية بالتنظيم النقابي والمفاوضة الجماعية.

وقال نصيف نريد من مجلس النواب القادم أن يحافظ على حقوق الناس ويحقق مكاسب على مستوى الخدمات وتحسين الوضع المعيشي وهذا ما فصله الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين في المذكرة المرفوعة للشركاء الاجتماعيين والجانب الحكومي من خلال» رؤية الاتحاد العام لإصلاح سوق العمل واستدامة صناديق التأمين الاجتماعي».

«الوطن» – 28 أغسطس 2022

طالبت بتفعيل آلية تصحيح إدراج أسماء الناخبين إلكترونيًا

«تقدّم» : لا مبررات لعدم إدراج أسماء أعداد كبيرة من المواطنين في لوائح الناخبين

شددت كتلة «تقدّم» البرلمانية على أهمية تمكين جميع المواطنين في جميع المحافظات والدوائر الإنتخابية من ممارسة حقهم الدستوري على قدم المساواة، وازالة العقبات أمامهم، واهمية العمل بسرعة لتفعيل آلية تقديم طلب التصحيح الكترونيا، وذلك وفق ما تتطلبه اشتراطات انجاح العملية الانتخابية وتجنيبها الشوائب والاعتراضات».

وقالت الكتلة في بيان بهذا الخصوص: «بالنظر إلى بدء الإعلان عن التحقق من إدراج اسماء المواطنين في كشوفات جداول الناخبين، فقد تلقينا العديد من التساؤلات من قبل عدد كبير من المواطنين عن عدم ادراج اسمائهم في لوائح الناخبين، وهي مشكلة يبدو انها تتكرر مع كل موسم انتخابي دون مبررات مفهومة.. علما أن أصحاب تلك التساؤلات قد حاولوا مرارا تقديم طلبات للتصحيح عبر رقم الإتصال المخصص لذلك في الإعلان الرسمي، إلا ان آلية التصحيح عبر الموقع غير مفعّلة، على ما يبدو».

وأكدّت الكتلة على أن هذا "لا يتوافق مع ما تمّ الإعلان عنه في نفس الموقع، كما انهم لم يتمكنوا أيضا من الحصول على إجابات عبر خط الهاتف الوحيد في الإعلان، وهذا ما يفوت الفرصة على العديد من المواطنين الراغبين في ممارسة حقهم الدستوري لسرعة التصحيح وإعادة ادراج اسمائهم».

في ندوة عن أبناء البحرينيات المتزوجات من غير بحرينيين وبحضور متضررات

مجلس زينل يستضيف اسماعيل والرويعي

طالبت الناشطة مريم الرويعي بمساواة المرأة البحرينية بالرجل في الحق في منح الجنسية لأبنائها، في حال كانت متزوجة، وأوضحت بأنه لا بد من تعديل هذا النص بحيث يحذف منه اشتراط أن يحمل الأبناء الجنسية البحرينية، ومن جانبه أشاد المحامي حسن إسماعيل بالدور الذي قامت به الحركة النسائية البحرينية ومؤسسات المجتمع المدني في هذا المجال، ومن ذلك تنظيمها لعدة حملات ابرزها الحملة الوطنية للجنسية وشعارها (جنسيتي حق لي ولأبنائي).

جاء ذلك في ندوة نظمّها عضو كتلة «تقدّم» البرلمانية النائب يوسف زينل في مجلسه الأسبوعي مساء الاثنين الموافق 12 نوفمبر 2022 لمناقشة «ملف البحرينيات المتزوجات من أجانب»، حيث أشارت الرويعي في ورقتها إلى حملة «السكن حق لي ولأبنائي»، وبينت جذور المشكلة وأن الهدف من الحملة هو تعديل ما ورد في المادة (3) من قرار وزير الإسكان رقم 909 لسنة 2015، من تعريف للأسرة الذي نصّ على أن الأسرة تشمل ايضاً البحرينية المتزوجة من أجنبي ولديها ابن قاصر أو أكثر يحملون الجنسية البحرينية، وأن هذا النص يحمل تناقضاً إذ لا يستوى هذا الشرط والدولة لا تمنح هذه المُواطِنة الجنسية لأبنائها أسوة بالمواطن المتزوج من أجنبية، وأوضحت بأنه لابد من تعديل هذا النص بحيث يحذف منه اشتراط أن يحمل الأبناء الجنسية البحرينية، حتى يمكن لها الحصول على الخدمات الاسكانية المنصوص عليها في القرار.

وتحدث المحامي حسن إسماعيل عن الدور الذي قامت به منذ عام 2005 الحركة النسائية البحرينية ومؤسسات المجتمع المدني، مشيراً إلى أن الاتحاد النسائي البحريني يتابع هذا الملف حالياً، حيص نظم حملات المدافعة من أجل حصول أبناء المرأة البحرينية المتزوجة من أجنبي على الجنسية وذلك وفي إطار إقليمي ضمّ معظم الدول العربية ، وساند كل الجهود التي بذلت من أجل اقرار هذا الحق، مطالباً بسن تشريع من قبل السلطة

التشريعية يقرّ بحق المرأة البحرينية في نقل جنسيتها لأبنائها للخروج من المشكلة التي يعاني منها الأبناء في الحصول على كافة حقوق المواطنة أسوة بالمواطنين.

وأشار إسماعيل إلى أن الاتحاد النسائي دشنّ الخطة الاستراتيجية 2017 التي تتعلق بهذا الحق للوصول إلى التدخل التشريعي من أجل إقراره، وتمثل في تعديل المادة (4) من قانون الجنسية الحالي لعام 1963 المستبدلة بقانون رقم 12 لسنة 1989 لتصبح – مبدئياً – كالتالي: (يُعتبر الشخص بحرينياً إذا ولد في البحرين أو خارجها وكان أبوه بحرينياً أو أمه بحرينية عند ولادته)، مما يحقق العدالة والمساواة للمرأة البحرينية ويمنحها الحق في منح جنسيتها لأبنائها.

وحضر اللقاء عدد من النساء اللاتي تحدثن حول مشكلة عدم حصول ابنائهن على الجنسية ما ترتب عليه من معاناة جراء عدم مساواتهم بالمواطنين في العمل والصحة والتعليم والسكن.

زينل يحذّر من تداعيات كارثية لإيقاف (أوفرتايم) موظفي الحكومة

دعا عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل جهاز الخدمة المدنية للتراجع عن قرار صرف أجور الوقت الإضافي لموظفي الحكومة، محذراً من تداعيات القرار الكارثي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ويشمل ذلك مضاعفة حالة الاحتقان وغضب الشارع جراء جملة سياسات حكومية خاطئة مست وطالت جيوب المواطنين، من ضرائب وغلاء ورفع دعم، وخصخصة خدمات.

وأشار إلى أن تداعيات هذا القرار ستمتد لتؤثر سلبًا على انسيابية العمل داخل القطاعات التي تحتاج لنظام الوقت الإضافي من أجل ضمان استمرار تقديم الخدمات، منبهاً إلى احتمالية توقف أو تراجع مستوى بعض الخدمات بما فيها تلك الحيوية المتصلة في ظل اتساع نطاق تطبيق القرار ليشمل كافة موظفي الحكومة عدا الوظائف الطبية.

مطرقة البرلمان

في يوم الديمقراطية..أي ديمقراطية نريد..؟!

في الخامس عشر من سبتمبر/ أيلول من كل عام يحتفل العالم ونحن معه باليوم العالمي للديمقراطية، وهذا في حدّ ذاته أمر مطلوب لتعظيم أهمية حضور الديمقراطية كممارسة وأداة ووسيلة نسعى من خلالها لتحقيق طموحاتنا المشروعة كشعوب في زيادة معدلات التنمية واستدامتها، وفي تحقيق المزيد من شروط وممارسات العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، وتحقيق الضمانات المطلوبة لخروج الناس في هذا العالم المليء بوجوه عديدة من الجور والظلم والحروب والعبث والجهل والتخلف وغياب العدالة، ومن حالة الإستلاب والمهانة إلى عالم اكثر رحابة من تحقيق الحريات العامة والخاصة، وترسيخ ممارسات حقوق الإنسان، وضمن إطار من شرعنة تلك المطالب الأساسية التي من خلالها تكمن العدالة وربما الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية التي كثيرا ما تشدقت بها أنظمة وهيئات دوليّة، ووضعت في سبيل بلوغها أجندات ومعايير واشتراطات، كثيراً ما ينعدم الالتزام بتحقيقها.

عبدالنبي سلمان

المسألة في غاية التناقض والغرابة بكل تأكيد، لكنها ليست عصيّة على الفهم، طالما فهمنا توحش عالمنا وتغوّل ممارسات الإستبداد وبأساليب وأدوات عديدة، لكنها بكل أسف تبقى محمية بلغة وشعارات حماية القانون والنظام سواء على الصعيد المحلي أو الدولي الذي تتبارى دول كبرى وصغرى في فرض رؤاها دون اكتراث بمصالح ورؤى الآخرين لتحفظ مصالحها المباشرة وغير المباشرة، ضاربة عرض الحائط بأبسط القيم التي كثيرا ما تشدقت بها دول كبرى ومنظومات مصالح كبرى حكمت عالمنا ولازالت بأدوات وبقبضات استعمارية، لازالت تعتاش وتسوق نهمها وجشعها في ترسيخ الهيمنة والقهر دون توقف وبأكثر الأساليب شراسة.

على الرغم من أننا جميعا نقر بأننا نعيش في عالم هو بمثابة قرية كونية، لكن هذه القرية الكونية لا زال لا يحكمها العقل والمنطق والعدالة ولا حتى أبسط شروط السيادة، ولا تستفيد من التاريخ وثقله بكل حروبه ومآسيه..وكأننا نذهب بعالمنا ومنظماته، وكثيراً بإرادة دوله باتجاه الانتحار والهلاك دون التفكير في خلق مسارات أخرى بديلة تكفل نماء ورفاهية البشر على وجه هذا الكوكب المبتلى بكراهيات لا حصر لها وبفجور استعماري رأسمالي بشع، وبهيمنة لا تريد أن تتوقف وبإستلاب منقطع النظير هو بمثابة مشروع مستمر ليس له أفق وحدود ولا يحكمه منطق أو قانون.

في يوم الديمقراطية العالمي الذي احتفلنا بمروره عبر بيانات أضحت تتوالد كالفطر دون فهم حقيقي من قبل السواد الأعظم من الدول والشعوب، ولكأننا نعيش طقوساً طالما أدمناها ونحن نسير في هذيان لا يريد ان يتوقف، ودون أدنى وقفات للتأمل حتى نعطي لدولنا ولشعوبنا فسحة استعادة الأنفاس ولو قليلا، وكأننا في سباق محموم لتدمير هذا العالم الذي هو مليء بعوامل الجمال والسلام والتعاون والتناغم والإنساني والتعددية والتنوع الحضاري والتاريخي، لكننا عنوة ودون أن نشعر أو نعي أدوارنا في ضرورة تصويب مسار الحضارة الإنسانية، نختار خيارات التدمير وتعزيز عوامل الكراهية والعنصرية والتمييز، دون مسوغات إنسانية مفهومة...انه عالم مليء بالتناقضات والمآسي بكل أسف في ظل جشع وعدوانية واستلاب غير مسبوق، لم نهتد بعد لكيفية التعاطي الإيجابي معه رغم امتلاكنا لمختلف ادوات التفوق التكنولوجي والصناعي التي هي سمات عصرنا الراهن.

محليا واقليميا، ووسط هذا التغول غير المسبوق عالميا، كم نحتاج أن نكون اوفياء لمصالح شعوبنا ودولنا بالدرجة الأولى ولدورنا المنتظر تفعيله للإسهام في رسم عالم جديد وبمفاهيم عصرية وإنسانية، لا تقبل كل هذه التبعية والارتهان والاستلاب والتبعية وغياب مقومات السيادة ومصادرة قراراتنا الوطنية دون أن نتوقف ولو للحظة لنبحث عن بدائلنا الممكنة.

في يوم الديمقراطية العالمي نحتاج أن نعي حجم التحديات الشاخصة أمامنا دولا وشعوبا، وسبل معالجاتها واستحضار امكانياتنا المادية والبشرية والمالية والاقتصادية لتثبيت مواقعنا لنكون قادرين على الفعل بدل التلقي المزمن والإخضاع الى ما لا نهاية، نحتاج إلى أن نعود لشعوبنا بدلاً من البحث بإستمرار في محاولاتنا اليائسة لاسترضاء أعداءنا والذين مرغوا ارثنا وتاريخنا وقيمنا ولا زالوا.

في اليوم العالمي للديمقراطية نحتاج أن نكون أكثر ديمقراطية ووعياً، لنعود بصبر ومسؤولية لشعوبنا وقضاياها وهمومها، بدلاً من محاولات الهروب إلى الأمام دون توقف، وكأننا نؤكد عجزنا عن ايجاد الحلول للإجابات والحلول التي هي في متناول اليد، ليتبقى علينا حينها أن نتعلم كيف نكون أكثر مسؤولية أمام التاريخ والأجيال القادمة..هكذا يجب أن نبدأ احتفالنا بيوم الديمقراطية العالمي، عندما نستعيد قراراتنا الوطنية للإنطلاق بأوطاننا وشعوبنا نحو المستقبل، أما المراوحة وانتظار ما سيرسمه الآخرون لنا فتلك احدى سمات العجز والإصرار على البقاء في مساحات الارتهان والاستلاب دون مبررات موضوعية مفهومة.

التقاعد الاختياري ليس حلاً للبطالة

في خطة عمل الحكومة للأعوام بين ٢٠١٨ - ٢٠٢٢ والتي كانت معنونة ب«أمن اقتصادي واجتماعي مستدام في إطار توازن مالي»، وفي الجانب الاقتصادي والاجتماعي نص على «دفع القطاع الخاص ليتبوأ دوراً أكبر كمحرك رئيس في عملية التنمية لخلق فرص نوعية للمواطنين للعمل والاستثمار" و"إعادة رسم دور القطاع العام من المحرك الرئيس إلى المنظم والشريك».

كما تضمن أيضاً "الاستعانة بالقطاع الخاص في تقديم بعض الخدمات الحكومية مع المحافظة على بحرنة الوظائف وجودة الخدمات المقدمة" ...

ما مدى نجاحنا في تطبيق هذا الجانب من خطة عمل الحكومة وما النتائج التي جنيناها؟

فلاح هاشم

مشكلة العاطلين تعود مرة أخرى مع توجه الدولة لتقليص دور القطاع العام

لقد كان أول إجراء حكومي بعد إقرار خطة عمل الحكومة ومن أجل خلق توازن مالي لتقليص المصروفات في البند الأول وهو بند مصروفات القوى العاملة في القطاع العام هو برنامج التقاعد الاختياري، والذي نتج عنه إخراج ما يقارب من 9000 موظف وبنسبة تقارب الـ 20٪ من العاملين في القطاع العام على التقاعد المبكر.

وإذا ما تفحصنا النتائج المترتبة على تطبيق هذا البرنامج يتضح الآتي:

- تدني مستوى الخدمات المقدمة للمواطنين في جميع القطاعات التي بان أثرها بشكل جلي في قطاعي الصحة والتعليم؛ مما استدعى إعادة توظيف بعض المواطنين وغير المواطنين.

- استمرار وزيادة الاعتماد على العمالة الوافدة، وتأخير إمكانية بحرنة الوظائف بسبب خروج أعداد كبيرة من المواطنين (بعضهم كان مؤهلاً بحكم خبرته، أو كان يمكن تدريب من ليس له الخبرات المناسبة ممن تم إخراجهم على التقاعد المبكر وإحلالهم مكان هذه العمالة) مما سبب زيادة نسبة تلك العمالة الوافدة العمالة في القطاع العام وما يتبعه من استمرار بقائها من دفع تكاليف مالية تكلف الميزانية العامة مبالغ كبيرة.

- تأثير تطبيق هذا البرنامج على زيادة نسبة العجز وتدهور الوضع المالي لهيئة التأمين الاجتماعي.

- انخفاض المستوى المعيشي لمعظم المتقاعدين جراء انخفاض مداخيلهم عندما أحيلوا على التقاعد المبكر.

- خسارة البلد لقوى عاملة وطاقات وطنية في سن العمل كقوى منتجة تساهم في العملية الإنتاجية، وتحويلهم إلى متقاعدين زاد من حدتها ما نتج عن انتشار جائحة كرونا وتبعاتها على الاقتصاد وخاصة أصحاب الأعمال الصغيرة والمتوسطة، وهي الأعمال التي لجأ إليها العديد من أفراد هذه الشريحة من المواطنين.

هذا بالإضافة إلى تحويل العديد من الخدمات المقدمة من القطاع الحكومي إلى شركات القطاع الخاص أو الاعتماد على القطاع الخاص لتزويد الحكومة بالعمالة والذي غالباً ما يعتمد على العمالة الوافدة الرخيصة، وإذا تم توظيف بحرينيين يكون بشرط دعم تمكين وبإجور زهيدة وبانعدام الأمن والاستقرار الوظيفي .

إن المتتبع لدور القطاع الخاص في الوقت الراهن وخاصة في ما يعنى بتشغيل المواطنين (ورغم كل برامج الدعم المقدمة) لا يرى تلك النتائج المعول عليها، بل إنه مع استمرارية سياسات فتح الأبواب على مصراعيها لجلب عمالة رخيصة وبدون أية ضوابط كتلك التي اعتمدت في بعض بلدان الخليج الشقيقة ساهم ليس فقط باستمرار مشكلة البطالة وزيادة أعداد العاطلين وتقليص فرص العمل (حتى في قطاع العمالة غير المنظمة) بل إلى تدني الأجور، وبذلك تدني مستوى معيشة المواطنين، والتي ساهمت فيها كذلك زيادة الضرائب وإيقاف زيادات المتقاعدين.

طوال عدة سنين وتحديات سوق العمل المتصلة بسياسات التشغيل هي في مقدمة التحديات التي نواجهها، وما حدّ من تفاقم أعداد العاطلين التي أفصحت عنها دراسة مكنزي في بداية المشروع الإصلاح وبنسبة لم تكن الأرقام الرسمية تفصح عنها، والتي وصلت حينها إلى ما يربو على العشرين ألفاً وبنسبة تقارب الـ 16٪.. هو استعياب وزارات الدولة وخاصة الخدمية منها بالإضافة إلى الشركات الحكومية، فتقلصت أعداد العاطلين وحدّت من تبعات تعطلهم الاقتصادية والاجتماعية.

لم يكن لشركات ومؤسسات القطاع الخاص (المعتمِد أساساً وبصورة تتزايد يوماً بعد يوم على الدعم الحكومي) دور أساسي ومهم في العشرية الأولى من القرن الحادي والعشرين في تقليص أعداد العاملين البحرينيين، بل ظل محافظاً وبصورة متزايدة على الاعتماد على العمالة الوافدة متخلياً عن مسؤوليته الاجتماعية.

والآن تعود مشكلة العاطلين مرة أخرى خصوصاً مع توجه الدولة لتقليص دور القطاع العام، وذلك بعد خصخصة تلك القطاعات، ومع اعتماد سياسات وقرارات سلبية (كقرار العمل المرن وفتح الأبواب لمزيد من العمالة الوافدة بدون أية ضوابط وغيرها من القرارات في هذا الاتجاه).. مما يستدعي وقفة جادة وشفافة لمراجعة تلك السياسات التي لها من التبعات السلبية الكثير على المواطنين والبلد.

مهام أساسية للحركة النقابية

جواد المرخي

منذ أن أنبثق عهد التشكيلات النقابية قبل عقود من حقبة التطور الصناعي في أوروبا، حيث عرف العمال قيمة العمل باعتباره العنصر الأساسي والمهم في أنشطة المجتمعات البشرية والتفاعل الاقتصادي والصناعي الذي أسسّ للتنمية والتقدم والتطور، ومنذ تلك الأزمنة التي انبثقت فيها حركة الطبقة العاملة من رحم الصناعات أصبح العمال القوة الأساسية في لعب الأدوار الكبيرة في عملية تشغيل الآلات وإدارة الإنتاج والتوزيع.

حينها أصبح العمال يدركون جيداً أن قوة عملهم التي يبيعونها للبرجوازية الرأسمالية مقابل مبالغ نقدية هي التي تدر الأرباح على الرأسمالية وليس امتلاكهم الآلات، فأصبح بيع قوة عمل العمال مقابل الأجور هو السائد في ظروف الاستغلال البشع والظروف المعيشية الصعبة للملايين من العمال، ونتيجة لهذه الظروف القاهرة أصبح العمال يلجأون للتحركات والنضال في سبيل تحسين لظروف المعيشة والعمل، وباتت المهمة هي ضرورة رفع الأجور كلما اشتد الغلاء، وفي خضم هذا الصراع انبثقت الحركة النقابية والاتحادات العمالية والنقابية بحيث توّحد العمال في صفوف النقابات باختلاف جنسياتهم وانتمائهم وعقائدهم بدون تمييز للدفاع عن مصالحهم وحقوقهم.

وعليه بات من الأولويات تثبيت الوجود النقابي، ودفع ذلك بقوة لتكون النقابات بوابة أمل للدفاع عن مصالح وحقوق العمال والحفاظ على المكتسبات عبر وعي حقيقي ونضال دؤوب وتقديم التضحيات في سبيل خلق أوضاع مؤاتية لمستقبل واعد للعمال، بحيث تكون النقابة هي المسؤولة عن الدفاع عن مصالح العمال بطرق مختلفة.

ومن مهام الحركة النقابية خلق ظروف الوعي الحقيقي في صفوف العمال، مع ما يتطلبه هذا عبر التثقيف المستمر وتفعيل الورشات والبحوث والحوارات لخلق بيئة من التضامن، ليكون العمال على أتم الاستعداد للنضال المشترك والتضامن العمالي والنقابي من أجل التغيير للأفضل.

وهنا يجب أن نتطرق لبعض المهام الأساسية للحركة النقابية الديمقراطية بعيداً عن عقلية الهيمنة للقوى الانتهازية، بحيث ان لا تكون النقابات والاتحادات كأنها ملك لأفراد او جماعات معينة تتحكم في مصير الحركة النقابية ومن ثم جرها لأحضان الفئوية والطائفية وأنواع الهيمنة.

إن غياب الديمقراطية يعتبر من الأخطاء الجسيمة في وسط الحركة النقابية بحيث يصبح ممكناً خلق الفوضى والهيمنة للدكتاتورية والتشرذم والتفكك، وهذه من الأمراض الخطيرة التي يجب التخلص منها عبر تفعيل وتجسيد المبدأ الديمقراطي، وتقوية التنظيمات النقابية من خلال المشاركة الجماهيرية في المؤتمرات والجمعيات العمومية بقوة لتكون هي السلطة الأولى التي تمتلك حق تقرير مصير النقابات والاتحادات النقابية ومحاربة الانتهازية.

المعارضة البحرينية .. جدلية المقاطعة والمشاركة

جلال إبراهيم

تعود من جديد جدلية المقاطعة والمشاركة في العملية الانتخابية عند أطراف المعارضة البحرينية بعد صدور بيانات حول الموقف من الانتخابات البلدية والنيابية القادمة.

في بداية الألفية الجديدة وبالتحديد في عام 2002 تمّ إجراء أول انتخابات بلديّة ونيابيّة بعد حل البرلمان سنة 1975 وتجميد العمل بالدستور، انقسمت المعارضة حينها بين أغلبية مقاطعة وأقلية مشاركة. المثير للدهشة أن الجمعيات والقوى السياسية التي عارضت بشدة مشاركة جمعية المنبر التقدميّ في العملية الانتخابيّة، هي ذاتها ستعلن المشاركة في انتخابات 2006 وستبرر موقفها بتغير الظروف السياسيّة، وتسجيل موقف تاريخي اتجاه السلطات المحليّة والمجتمع الدولي، ولا شك أن قانون الجمعيات السياسية الذي طُرح في 2005 مثل حدثاً هاماً سيؤدي إلى انقسام كبير داخل أكبر الجمعيات السياسية المعارضة، بين فئة موافقة وأخرى رافضة للرضوخ لبنوده،

وشهدت الساحة السياسية للمعارضة البحرينية في الأشهر القليلة الماضية، سجالًا واسعًا على مستوى وسائل التواصل الاجتماعي، يتمحور حول خطابها وأساليبها وتعاطيها كمعارضة مع الأزمة السياسية خلال العقد المنصرم، وهناك مواقف وبيانات تنتقد الحكومة والمعارضة معاً، بما في ذلك انتقاد المعارضة ككل، من دون استثناء أحد، ووصف موقفها بالمتفرج مما يحصل على الأرض.

في الواقع ليس التباين والتباعد بين أطراف المعارضة وليد هذه الأيام أو منذ 2011 وما بعدها، بل يعود إلى 2002 و 2006 في ثنائية المقاطعة والمشاركة، وما نتج عنهما من تباينات حادة بين فصائل المعارضة آنذاك. ومن المعروف أن ذروة الاختلافات حصلت في السنوات الثلاث التي سبقت الأحداث السياسية في فبراير 2011 .

لذلك لا نعتقد أن الطلب من فصائل المعارضة اليوم بالتوافق على موقف ورؤية سياسية واحدة ستنجح وتتحقق على أرض الواقع. بل على العكس قد تتسع مساحة الاختلافات والتباينات بدلاً من تجسيرها. وإذا كانت بعض أطراف المعارضة الراديكالية لا تزال متمسكه بمواقفها المتشددة، فإن البعض الآخر من الجمعيات الرسمية المنحلة بقرار وزارة العدل، تتبنى مواقف لا تقل تشدداً.

إن المعارضة البحرينية اليوم تدفع فاتورة طبيعة علاقاتها المتنافرة وقراراتها المتشددة والمثالية طوال العقد الأخير من الألفية الجديدة. من شعار الجمهورية إلى شعار الحكومة المنتخبة ورئيس الوزراء المنتخب، الأمر سيا؛ فما نحتاجه على مستوى المعارضة البحرينية قراءة الواقع السياسي الراهن بعقلانية ومرونة أكبر تستوعب بها كل التفاصيل والتعقيدات على المستوين الداخلي والخارجي. نعم الحل ليس بيدها كمعارضة، ولكن عليها بالضرورة الدفع قدر الإمكان نحو أفق مفتوح للحل السياسي يريح العباد والبلاد.

قرار المشاركة أو المقاطعة عند قوى المعارضة، يجب أن يخضع لتشخيص دقيق لظروف المرحلة السياسية القائمة، وأن لا يتم اختزال صحته أو خطأه من أي طرف سياسي معارض، هذا ما أثبتت صحته التجربة السياسية خلال العقدين المنصرمين.

الاقتصاد البحريني إلى أين؟

باعتبار الهندسة المالية أحد فروع علم التنبؤ بالمخاطر وقياسها "Actuarial science"، والتي تعتمد على فكرة الابتكار المالي المتجسد في دور الإدارات المالية في الحكومات والشركات في وضع خُطط مناسبة للتعامل مع الأهداف الاقتصادية المرتبطة بالسنة المالية، أجدني أميل الى تشبيه الهندسة المالية ، الخاصة بتصميم الموازنة العامة للدولة..بالتصميم غير المخطط له، أو غير الرشيد، في عملية اطلاق العنان لتمطيط الاقتصاد الكلي البحريني اعتباراً من منتصف القرن العشرين الماضي، مدفوعة بطفرتي أسعار النفط في ١٩٧٣ و١٩٧٩. فكلتا الحالتين خرقتا حكمة القول الشعبي "مد لحافك على قد رجليك". ولعل الواحدة منهما تكمل الثانية..من جهة، تمطيط الاقتصاد بأكبر من موارده البشرية التي يحوزها من خلال فتح سوق العمل على مصراعيه لاستقبال سيل متدفق من العمالة الأجنبية صارت اليوم، بحكم الأمر الواقع، جزءا لا يتجزأ من هيكل الاقتصاد الوطني..وفي الثانية، نفخ الموازنة بأكبر من قدرة الاقتصاد على توليد الإيرادات المطلوبة لموازنة جانب المصروفات.

د. محمد الصياد

هذا هو العنوان الأبرز لمأزق الاقتصاد البحريني اليوم وغداً. وهذه حقيقة مرة ستكون حاضرة دوما في كل جهد وكل محاولة لاحداث التوازن المالي المنشود. وبموجب هذا المأزق الاقتصادي التاريخي، فإن ديناميات الاقتصاد الداخلية، أي محركات دورته الاقتصادية في طور نموها الطبيعي، أصبحت مرتكزة على اجمالي قوة عمل نشطة اقتصاديا تمثل العمالة الأجنبية منها أكثر من 50٪. ومن غير الممكن التخلص من هذا اللغم من دون التسبب في انهيار معظم قطاعات وأنشطة الاقتصاد والحاق الضرر بكل الأطراف المتورطة في استخدام (واستغلال) هذه العمالة الرخيصة، بما في ذلك مؤسسات الدولة وأفراد المجتمع العاديين.

هل يمكن تفكيك هذا اللغم

هذا أمرٌ صعب، يقترب من الاستحالة. فعملية تمطيط حجم الاقتصاد سهلة، في حين أن عملية تحجيمه في غاية الصعوبة والتعقيد. مع جدارة التنويه والتفريق هناهنا بين عملية تمطيط حجم الاقتصاد التي نقصد، وبين نمو الاقتصاد النمو الاقتصادي يتعلق بطبيعة الحال بزيادة إنتاج السلع والخدمات التي قد تُسهم بدورها في زيادة السلع الرأسمالية والقوى العاملة والتكنولوجيا. بحيث يحدث ذلك بصورة سنوية منتظمة من خلال الدورة الإنتاجية السنوية لاجمالي الناتج المحلي من السلع والخدمات، أي بصورة تدرُّجية تراكمية. أما تمطيط حجم الاقتصاد الذي نقصد، والذي ينهض كظاهرة رأسمالية خاصة تسببت فيها الفوائض المالية التي تأتت من تضاعف أسعار النفط في طفرتين نفطيتين، الأولى بعد قرار حظر بيع النفط الى الدول الغربية التي تدعم الكيان الصهيوني في عام 1973، على خلفية حرب أكتوبر العربية الإسرائيلية، حيث تضاعف سعر برميل النفط في الأسواق العالمية 4 مرات في 4 أشهر، إذ ارتفع من 2.32 دولار إلى 9 دولارات. وفي الطفرة الثانية التي أعقبت الثورة الإيرانية عام 1979، تضاعف السعر بواقع 2.6 مرات من 13 دولارا منتصف 1979 الى 34 دولارا منتصف 1980 - فهو يتعلق بتوسيع كامل هيكل الاقتصاد "اصطناعيا"، على صعيد طاقات وحداته الإنتاجية والخدمية وعلى صعيد قواه الإنتاجية، بما يفتح الباب أمام ضخ غير اعتيادي للتدفقات الرأسمالية والسلعية والموارد البشرية، بصورة يتضاءل معها حجم السوق المتواضع ما قبل عملية النفخ والتضخيم.

الى ذلك أيضا، وجب التفريق بين ما يُسمّى الـ "Downsizing"، وهي سياسة تلجأ اليها الشركات حين تعمد الى تقليص عملياتها والتخلص من نسبة معينة من طاقم العاملين فيها بحجج مختلفة، محركها جميعا انخفاض أرباحها، وبين ما نعنيه هنا وهو "تقليص حجم الاقتصاد»، أو بالأحرى إعادته الى حالته الطبيعية المتوازنة بين امكانياته وموارده المتاحة (المادية والبشرية) من جهة، وطاقاته الإنتاجية الممكنة من جهة أخرى. وهو أيضا يختلف عن نظرية "ضبط وخفض النمو" التي بدأت تنافح سردية النمو المهيمنة في الغرب الرأسمالي، وإن التقيا جزئيا في المضمون من حيث مصبهما النهائي وهو هدف الاستدامة" كما يختلف عما يسمى "اقتصاد الدونات" (Doughnut Economy)، الذي نظّرت له أستاذة علم الاقتصاد في جامعة أوكسفورد وكامبريدج، كيت راورث في عام 2012، ويدور حول فكرة التنمية المستدامة، البديلة للتطبيقات الفاشلة للنظريات الاقتصادية الكلاسيكية التي تتعامل بشكل نفعي بحت مع البيئة، ولا تهتم بالأجيال المستقبلية، ولا بأي صورة من صور الاستهلاك الرشيد. ونظريتها، هي الأخرى، مستوحاة من مفهوم التنمية المستدامة. إنما نظرية اقتصاد الدونات، ومثلها نظرية الاقتصاد الدائري (Circular economy)، تتحلقان كلاهما حول نشدان هدف الاستدامة عبر إعادة استخدام وتدوير النفايات والمخلفات الإنتاجية بأنواعها، من ملابس وخردة معدنية وإلكترونيات قديمة وغيرها، اقتصاديا.

فالتيارات الجديدة في علم الاقتصاد في الغرب تُحمِّل النمو الاقتصادي مسئولية الركود والفقر وعدم المساواة والكارثة الاجتماعية البيئية والتلوث والعزلة عن سبل العيش، أي باختصار الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية التي تواجهها البشرية. ولذلك يدعو أنصارها من الاقتصاديين، خصوصا منهم المتخصصين والمهتمين بقضايا المناخ والبيئة (الإيكولوجيين)، إلى تقليص حجم النظام الاقتصادي.

أطلقت كيت راورث على نظريتها اسم اقتصاد الدونات، مستخدمة للتشبيه كعكة الدونات، على أساس أن الكادحين والمعدمين، أو كما أسمتهم الذين يفتقرون الى الحد الأدنى من متطلبات العيش الكريم، والتي تمثل، من وجهة نظرها طبعا، الحد الأدنى من أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة، وهي 17 هدفا وُضعت في عام 2015، على أن تتحقق في عام 2030)؛ بينما تمثل الحلقة الخارجية للدونات السقف البيئي الذي وضعه علماء الأنظمة الطبيعية التي تحكم كوكبنا. أما خارج هاتين الحلقتين، فإن النشاط البشري الفائض هو المسؤول عن كوارث التغيرات المناخية، والإضرار بالتربة والمحيطات وطبقة الأوزون والمياه العذبة والتنوع البيولوجي الوفير. والعجينة المفترضة بين الحلقتين، هو ما يجب يتحقق بتكامل احتياجات البشر واحتياجات الكوكب).

وهناك نظريات أخرى مشابهة ومستنبَطة من بعضها البعض، تلتقي مع ما نقصده من تحجيم الاقتصاد في منظور الاستدامة التي لا يمكن تحقيقها في ظل نموذج التنمية الحالي؛ رغم ورود هدف الاستدامة ضمن المبادئ الثلاثة للرؤية الاقتصادية البحرينية 2030، وهي العدالة والمنافسة والاستدامة. فكيف تكون هناك استدامة في ظل وجود هدر مالي في معظم أوجه الانفاق الحكومي، سيما الانفاق غير الإنتاجي؟ وهو ما يعكس نفسه اختلالات متمادية، بدءاً من الميزان التجاري الذي يقيس حصيلة الفارق بين صادراتنا المنظورة، السلعية وصادراتنا غير المنظورة وهي الخدمات بأنواعها ومنها الاستشارات بأنواعها أيضا (سجل الميزان التجاري البحريني فائضا قدره 4.9 مليار دولار في ديسمبر 2021،

مقارنة مع عجز قدره 127.1 مليون دولار في العام السابق بحسب بيانات شركة CEIC Data العالمية للمعلومات والبيانات.

وميزان المدفوعات الذي يقيس حصيلة الفارق بين ما نسدده للخارج (بالعملة الصعبة) وما نقبضه من الخارج (بحسب بيانات مصرف البحرين المكزي، سجل ميزان المدفوعات البحريني فائضا في الحساب الجاري الحساب الجاري للدولة عبارة عن قيمة الصادرات والواردات لكل من السلع والخدمات والتحويلات الدولية لرأس المال. وهو يقيس عائدات الدولة المتحصلة من الخارج وإنفاقها في الخارج. وهو يشمل الميزان التجاري وصافي الدخل المتأتي من عائدات استثماراتها في الخارج مطروح منها الأموال التي تُدفع للمستثمرين الأجانب، إضافة الى صافي التحويلات الأحادية المتمثلة في مساعدات أو هبات خارجية للدولة، قدره 978.5 مليون دينار في عام 2021، مقارنة مع عجز في عام 2020 بلغ 1222 مليون دينار، بمتوسط خلال الفترة من 2012 الى 2021، بلغ –290.7 مليون دينار، بحيث كان عام 2021 الأفضل بفائض قياسي بلغ 978.5 مليون دينار، والأدنى كان في عام 2020، وبلغ 1220 مليون دينار.

الأمر نفسه ينطبق على موازنة الدولة التي لازالت تشكل من خلال دالّة الانفاق، موتور الحركة الاقتصادية الأساسي. فتعظيم الانفاق عاما بعد عام، ومعظمه في صورة مخصصات غير إنتاجية للوزارات والمؤسسات والهيئات الحكومية، اعتمادا على "حالة الطقس" في سوق البترول الدولية التي يفترض مصممو الميزانية، أو من يعهد اليهم اعدادها، أن سماء سوق البترول الدولية سيتواصل هطول مطرها، أوقع الدولة في فخ الاستدانة المفرطة لتمويل انفاقها الجاري أساسا والاستثماري جزئيا، لتتحول مع الوقت الى نوع من ادمان الاستدانة من السوق المحلي ومن الأسواق الخارجية لسد العجز في الموازنة الذي عمل سنة بعد أخرى على مراكمة مديونية تخطت قدرة الاقتصاد الوطني على توليد ناتج محلي اجمالي سنوي. وقد بلغ العجز في موازنة 2021، 1.208 مليار دينار، واستمر بانخفاض طفيف في عام 2022، إذ بلغ 1.112 مليار دينار. حيث بلغت الإيرادات التقديرية للسنتين المذكورتين، 2.406 و 2.457 مليار دينار على التوالي مقابل نفقات مقدرة تبلغ 3.614 مليار دينار و 3.569 مليار دينار على التوالي.

وهذا على سبيل المثال لا الحصر، ويمكن اجمال المشهد العام للاقتصاد البحريني كما فحصته وكالة فيتش "Fitch Rating Agency"، في مايو الماضي (2022) على النحو التالي: سوف تنخفض نسبة الدين الحكومي الى اجمالي الناتج المحلي الى 117٪ في عام 2022، من 130٪ في عام 2021، لكنه سيرتفع مرة أخرى في عام 2023 إلى 121٪. وتتوقع فيتش أن يساعد برنامج التوازن المالي للحكومة على خفض سعر التعادل المالي من مستواه الحالي البالغ 120 دولارا أمريكيا للبرميل. أيضا، بفضل سعر برميل النفط المرتفع، تقلص عجز الموازنة العامة للحكومة بشكل كبير في عام 2021، من 17.1٪ من الناتج المحلي الإجمالي في عام 2020 إلى 9.9٪. بالنسبة لعام 2022، تتوقع فيتش أن ينخفض عجز الموازنة إلى 3٪ من الناتج المحلي الإجمالي، قبل أن يرتفع إلى 3.4٪ في عام 2023 .

الوكالة لم تأت بجديد، فجودة المالية العامة في العام الجاري، يعود كل الفضل فيها الى أسعار النفط المرتفعة التي أنتجت فائضا بمتوسط 50٪ عن إيرادات الموازنة المبنية على سعر 50 دولارا للبرميل في الموازنة التقديرية للسنتين الماليتين 2021 و2022، وعلى سعر الطن المتري من الألمنيوم التي حلق عاليا وضاعف ايرادت شركة ألبا الحكومية بصورة غير مسبوقة. فالوكالة الأمريكية بنت توقعاتها على فرضية متوسط سعر خام برنت 100 دولار أمريكي في عام 2022 و 80 دولارا في عام 2023. علما بأن برنامج التوازن المالي الذي لا يزال يعتمد على افتراض سعر برميل النفط عند 60 دولارا، يستهدف ميزانية متوازنة بحلول عام 2024، بعد أن كان الهدف في الخطة الأصلية، عام 2022؛ بفرضية حكومية أنه بحلول عام 2024، ستخلق زيادة ضريبة القيمة المضافة وفرا في الميزانية بنسبة 5٪ تقريبا من الناتج المحلي الإجمالي.

فيما يتعلق بما نتصوره للاقتصاد البحريني، للخروج من دوامة عدم الاستدامة ومن مأزق اللاتوازن الاقتصادي (بين الإمكانيات والموارد المتاحة من جهة وبين القدرة على توليد الطاقات الإنتاجية الممكنة)، واللاتوازن المالي (بين قدرة الاقتصاد على توليد الإيرادات وحاجاته الانفاقية المتنامية نتيجة لجملة أسباب من بينها وأهمها كتلة العمل الأجنبية الفائضة التي تثقل كاهل الاقتصاد وتهدد بانفراط عقده – فإن قطب الرحى في هذه المعادلة التنموية الاقتصادية المتوازنة التي نزعم، يجب أن تكون قوة العمل الوطنية النشطة اقتصاديا، وهي هنا قوة العمل البحرينية التي تتراوح أعمارها ما بين سن السابعة عشرة وسن الخامسة والخمسين، مضاف اليها نسبة ضئيلية من العمالة الأجنبية الخبيرة. وهذا ينسجم تمام الانسجام، ويحقق بصورة جدية وحقيقية، هدف الاستدامة (الاقتصادية والاجتماعية) الوارد ضمن المبادئ الثلاثة لرؤية 2030 البحرينية. فضلا عن انسجامه مع الاتجاهات الجديدة التقدمية في علم الاقتصاد، ومنها كما سبق ذكره، نظرية وتطبيقات اقتصاد الـ"دي غروث" (Degrowth theory)، واقتصاد الدونت، والاقتصاد الدائري.

أوجه شبه بين حالتنا الاقتصادية وحالة الاقتصاد الأمريكي

رغم الخشية من الوقوع في محذور المقارنات غير المتكافئة أو غير المتماثلة، الا أن مغريات المقارنة هي ما تغوي القارىء لمؤشرات أداء الدول، لعقدها. وهذا محفز كاف لخوض مغامرتها. فلقد وجدت أن هنالك أوجه شبه لافتة بين ديناميكيات توليد النمو في الاقتصاد الأمريكي، وبين نظيرتها في الاقتصاد البحريني. فديناميكيات توليد النمو في الاقتصادين تعتدم على التمويل العجزي وعلى تأمين حاجاتها الاستهلاكية عبر نافذة الواردات السلعية، الاستهلاكية أساسا والإنتاجية جزئيا التي يتم دفع أثمانها جزئيا بواسطة حصيلة مبيعات منتجات الهيدروكربون (النفط والغاز بالنسبة لأمريكا والنفط والمنتجات النفطية والغازية بالنسبة للبحرين). بل إن الدولتين متعادلتان تقريبا في نسبة الدين الحكومي الى اجمالي الناتج المحلي (119٪ بالنسبة لأمريكا و117٪ بالنسبة للبحرين).

في العقود الأربعة الماضية، راكمت الصين وبلدان جنوب شرق آسيا فوائض مالية ضخمة بفضل معدلات فوائض موازين تجارتها الخارجية، لاسيما تجارتها مع الولايات المتحدة الأمريكية. فاستثمرت جزءاً كبيرا من مدخراتها في سندات الخزينة الأمريكية، بافتراض أنها ملاذ آمن لاحتياطياتها النقدية. فكان أن ظلت الصين واليابان وغيرهما تقدم قروضا للولايات المتحدة كي يتمكن المستهلكون الأمريكيون من شراء السلع تصنعها وتصدرها للسوق الأمريكية. وقد سمحت هذه الفوائض المالية لهذه الدول، بتأمين ادمان أمريكا على القروض لتمويل استهلاكها. بمعنى أن أمريكا اليوم تعتاش على "حُقن" أنسولين" القروض التي بلغت الديون الحكومية الأمريكية بحلول نهاية عام 2021، 28.43 تريليون دولار، وفقا لبيانات وزارة الخزانة الأمريكية.

طبعا الآن يبدو أن هذا لن يعود متاحا كما في السابق بسبب التوترات التجارية والجيوسياسية بين الصين والولايات المتحدة، خصوصا بعد تداعي مشاريع مبادرة "حزام واحد طريق واحد" الصينية، وتنامي قلق أمريكا من أن تشكل هذه المشاريع العملاقة، معوقا أمام استمرار الهيمنة الأمريكية على منطقة آسيا والمحيط الهادئ، ما لم تحدث مفاجأة ويركن البلدان الى خيار السلام بدل المواجهة لإعادة هندسة مصالحهما المشتركة.

البحرين أيضا، صارت تعتمد على التمويل العجزي، أي الاقتراض من السوق المحلية أولا. حيث تقوم البنوك الوطنية والأجنبية بشراء سندات الحكومة لتمويل الانفاق الجاري والاستثماري في الموازنة التقديرية ريثما تتجمع الإيرادات في الموازنة من مبيعات النفط وبعض منتجات الغاز (البروبان والبيوتان و النافثا – شركة بناغاز وبناغاز التوسعة وبناغاز التوسعة الثالثة)، وبعض منتجات البتروكيماويات (الأمونيا واليوريا والميثانول – شركة الخليج لصناعة البتروكيماويات "جيبك" التي تملك حكومة البحرين ثلث رأسمالها البالغ 60 مليون دينار، فيما تعود ملكية أسهم الثلثين الباقيين لكل من الشركة السعودية للصناعات الأساسية "سابك" 33٪، وشركة صناعة الكيماويات البترولية الكويتية. وفي مرحلة تالية، بدأت الحكومة، بعد أن تكررت عملية فتح سقف الاقتراض، بتسهيل كامل من البرلمان، بدأت تتجه للاقتراض الخارجي، من البنوك الاقليمة أولا ثم الدولية. إضافة الى إيرادات الإدارة الحكومية (الرسوم بأنواعها)، وإيرادات الجباية الضريبية لضريبة القيمة المضافة.

وإذا كان عددٌ متزايدٌ من الاقتصاديين الأمريكيين باتوا يسلّمون بحتمية إعادة النظر في نموذج بلادهم الاقتصادي، لصالح نموذج أكثر توازناً ومقتصداً، ونحن نتحدث عن أكبر اقتصاد في العالم، ويتمتع بأوراق اقتصادية ومالية ونقدية توفر له امتيازات حصرية ومرونة حركة في الداخل والخارج، ما لا يتوفر لكافة الاقتصادات العالمية، فإنه حريٌّ بنا هنا في البحرين أن لا نتأخر عن الحذو حذو هذا الخيار العقلاني الضامن للاستدامة.

محطّات نضالية في تاريخنا الوطني

يمكن أن نحدّد أهم المراحل في تاريخنا الوطني، والتي شهدت مدّاً جماهيرياً، في مراحل ثلاث، مع توضيح الأرضية والأسباب التي ساهمت في نمو العمل التطوعي – الجماهيري: المرحلة الاولى ١٩٦٥، المرحلة الثانية ١٩٧٣، المرحلة الثالثة ٢٠٠١.

وساهمت الأرضية السياسية في صناعة المدّ الجماهيري وليس هناك ضرورة للغوص في الحيثيات، وهذا ممكن عند مناقشة هذه المرحلة من الجانب السياسي، ففي عام ١٩٦٥ ساهمت عوامل كثيرة في خلق أرضية سياسية من أهمها:

علي الحداد

العامل الأول: كان لانطلاقة منظمة التحرير الفلسطينية في مايو 1964 الأثر الكبير في تعاطف الشعب البحريني ونزوله إلى الشوارع هاتفا بسقوط الاستعمار والتنديد بالعدوان الإسرائيلي ضد نضال الشعب الفلسطيني وكان للمدرسين العرب من العراق وسوريا ومصر في النطرق أثناء الدروس للقضية الفسطينية محاولين بث الوعي والحماس، ومن ضمنها الأناشيد الوطنية ذات الطابع القومي أثر كبير في بث الحماس في صفوف الطلبة والجماهير، ومن ضمنها نشيد: «بلاد العرب أوطاني/ من الشام لبغدان/ ومن نجد إلى يمن/ إلى مصر فتطوان»

العامل الثاني: ثورة يولّيو 1952 في مصر من خلال الضباط الأحرار بقيادة اللواء محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، وكانت خطابات عبد الناصر الملتهبة تحرك الجماهير العربية وشعب البحرين جزءاً منها، فكانت الجماهير البحرينية تترقب الخطاب بلهفة كبيرة، حيث تمتلأ المقاهي بانتظار هذه اللحظة وفي اليوم التالي تنطلق المسيرات في الشوارع مطالبة بسقوط الاستعمار البريطاني.

العامل الثالث: ثورة الجزائر التي اندلعت في 1 نوفمبر 1954 ضد الاستعمار الفرنسي، وكانت الرصاصات الأولى في صدور الثوار الجزائريين المقاومين للاستعمار الفرنسي الذين طالبوا برحيل الاستعمار الفرنسي، فكان شعب البحرين متعاطفاً مع الجزائريين في المطالبة باستقلالهم.

العامل الرابع :بروز التيارات اليسارية والقومية ذات الطابع السري، ومن بين التيارات التي كان لها دور كبير في قيادة انتفاضة 1965 جبهة التحرير الوطني التي تأسست في 15 فبراير 1955 ودورها كان كبيراً في مقاومة الاستعمار بالتنسيق مع التيارات القومية في قيادة انتفاضة مارس 1965، وكان للجبهة حضور كبير منذ التاسيس في المواقع العمالية بشكل خاص وغيرها من المؤسسات في المدن والقرى بشكل عام، ومن ضمن هذه القوى أيضاً التيارات القومية وبينها فرع البحرين من حركة القوميين العرب في بداية الستينات، ومن التيارات القومية الأخرى حركة الناصريين استنادا لجمال عبد الناصر، وكذلك حزب البعث العربي بفرعيه العراقي والسوري، وكذالك التيارات القومية التي تبنت الكفاح المسلح مثل جبهة تحرير ظفار والخليج العربي، والتي انبثقت منها في بداية السبعينات الجبهة الشعبية.

كل هذه العوامل كانت بمثابة ارضية للحركة السياسية في البحرين والتي أخذت منحى سرياً، مع بروز الجانب العلني أثناء المدّ الجماهير ومن ضمنه انتفاضة 1965 التي انطلقت مسيراتها بفعل الشرارة التي أطلقها تسريح شركة بابكو ل 1500 عامل، ما كان يعني حرمان 1500 أسرة بحرينية من مصدر رزقها، حيث اضرب العمال في "بابكو" وبعض الشركات الأخرى ذات الكثافة العمالية تضامناً مع عمال بابكو وتمت المواجهات مع شرطة الإنجليز، وأدى أطلاق الرصاص ضد المتظاهرين إلى سقوط شهداء، واستمرت هذه الإنتفاضة أكثر من شهرين، وبعدها تمّ ارجاع غالبية المفصولين بينما تعرض قادة وكوادر الانتفاضة العمالية إلى اعتقالات ومطاردات بوليسية.

وبهذا رصدنا المرحلة الأولى بين محطات نضال شعبنا في العصر الحديث، والتي شملت كل المدن والقرى، وبالرغم من أن طابعها كان سرياً، إلا أن المتطوعين في المجال السياسي والنقابي، تفانوا في النضال وقدموا التضحيات.

(قف)

واشنطن صانعة الحروب عبر العالم

تعتمد الولايات المتحدة في سعيها للهيمنة العالمية على عدة أوراق بما في ذلك السياسة والاقتصاد والثقافة والتعليم والتأثير على منصات الرأي العام. وهدفها في ذلك خلق اضطرابات في جميع أنحاء العالم تحت راية الذود عن «حقوق الإنسان» و«الديمقراطية» و«الحرية». تذكر «شبكة الصين الاخبارية» من خلال دراسة تاريخ حروب وصراعات الولايات المتحدة خلال الـ ٢٤٠ عاما الماضية منذ إعلان الاستقلال عام ١٧٧٦، ما تظهره الإحصائيات من أن المدة الزمنية الفاصلة بين حرب وأخرى تخوضها الولايات المتحدة هي أقل من عشرين عاما، كما تشير هذه البيانات إلى اندلاع ٢٤٨ نزاعا مسلحا في ١٥٣ دولة ومنطقة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ إلى غاية ٢٠٠١، وكان للولايات المتحدة نصيب الأسد منها بواقع إشعال ٢٠١ منها، أي إنها كانت مسؤولة عن ٨١٪ من إجمالي جميع الحروب والصراعات حول العالم.

فهد المضحكي

هل تعشق أمريكا الحروب؟ الإجابة ببساطة «نعم» بعد تحليل البيانات الضخمة، فمنذ الحرب العالمية الثانية، خاض كل رئيس أمريكي تقريبا «حرباً خاصة به» ودمرت هذه الحروب البلدان المحتلة وتسببت بقتل ملايين المدنيين وتشريد عشرات الملايين، وقد أرجع الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر «عشق الحروب» إلى أن الولايات المتحدة ترغب دائما في إجبار الآخرين على تبني المبادئ الأمريكية.

لماذا لا تزال الولايات المتحدة "ميالة لاستخدام القوة" حتى بعد الحرب العالمية الثانية؟. لمعرفة الإجابة، يمكنك أولاً إلقاء نظرة على تاريخ تأسيس الولايات المتحدة وتوسعها والذي يعود إلى فظائع إبادة الهنود الحمر. وكان الرئيس الأمريكي السابق باراك اوباما قد نشر مذكرات بعنوان "أرض الميعاد". وسبب اختيار هذا الاسم يعود إلى أن جلّ الأمريكيين يعتقدون أن أرض الكنوز التي تحت أقدامهم بمثابة "هبة من الرب" وكأنهم تناسوا أن أمريكا الشمالية هي أرض يقطنها ويمتلكها سكان أصليون. فأين تبخر عشرات الملايين من الهنود الحمر؟.

وبعد طي صفحة "مذبحة الهنود الحمر"، لعبت الولايات المتحدة على وتر الحروب لتصبح أقوى على نطاق أوسع، فأصبحت قوة عسكرية عالمية جراء الحرب الإسبانية الأمريكية، ثم اغتنمت اندلاع الحرب العالمية الأولى كفرصة وأصبحت بعد ذلك عملاقا عالميا، أما هيمنتها على النظام الدولي فقد تحقق مباشرة إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية. ولأكثر من 200عام، خاضت الولايات المتحدة الحروب وشاركت فيها باستمرار.

ولطالما شكلت الحروب الوجه الذي نعرفه عن الولايات المتحدة. وقد دفعت هذه العقلية عددا كبيرا من النخب السياسية في الولايات المتحدة إلى الانغماس في "متعة" استخدام القوة العسكرية. وبالتالي تسود في أوساطهم حالة من القلق بشأن السلام الذي قد يجلب وضع " لا عدو، إذن لا قوة لنا". لهذا السبب فهم غير قادرين على كبح رغباتهم في إحداث الاضطرابات لا لشيء إلا لإحكام الهيمنة. إنهم يبحثون في جميع أنحاء العالم، خاصة بعد الحرب الباردة. فلقد أطلقوا بأوهامهم المتمثلة في "العالم أحادي القطب" موجة من التدخل في أجزاء كثيرة من العالم، كما قاموا بشنّ سلسلة من الحروب وتدخلوا للإطاحة بأنظمة دول أخرى واختراقها لغرض واحد وهو "الهيمنة العالمية".

بعد هزيمة اليابان في عام 1945، تفكك التحالف المناهض للفاشية بسرعة. وحثت خطوات القوى العظمى من أجل الهيمنة على العالم. والمثال الأكثر شيوعا هو شن الولايات المتحدة هجوما واسع على كوريا الشمالية في عام 1950، وأشعلت حربا على نهر بالو. وهذه الصفحة من التاريخ الإجرامي لتدخل القوة الأمريكية في الشؤون الداخلية للدول الأخرى وقتل المدنيين مليئة بالقصص المأساوية عن ملايين القتلى المدنيين، ومثلهم في شبه الجزيرة الكورية.

ومن أجل أخماد أي صوت معارض لواشنطن، لا تتوانى الولايات المتحدة عن استخدام أي وسيلة حتى وإن كانت في شكل حروب على حساب حياة البشر في أنحاء العالم. فقد تم تقطيع أوصال يوغوسلافيا "نمر البلقان" تدريجيا بسبب هوس الولايات المتحدة في تحقيق الهيمنة. وعلى الرغم من أن يوغوسلافيا كانت دولة اشتراكية، إلا أن المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة سعى جاهداً إلى استمالتها في الأيام الأولى للحرب الباردة. والسبب وراء ذلك بسيط للغاية وهو الصراع الجيوسياسي بين المعسكر الغربي والاتحاد السوفييتي، والخلاف بين الزعيم اليوغوسلافي تيتو والزعيم السوفييتي ستالين، وتبني يوغوسلافيا سياسة خارجية مستقلة ومحايدة خلال الحرب الباردة، وشكّل هذا الأمر فرصة للولايات المتحدة التي كانت تعتبر أوروبا الشرقية بمثابة جبهة امامية ضد الاتحاد السوفييتي، ونتيجة لذلك، قدّمت الولايات المتحدة قدراً كبيراً من المساعدات الاقتصادية لـيوغوسلافيا، كما فتحت دول غربية أخرى أبوابها التجارية أمامها.

وبالنسبة لهذا البلد الذي لم يعد بإمكانه أن يكون "حاجزاً استراتيجيا"، تغير موقف واشنطن نحوها بسرعة، وأصبح الهدف التخلص منها بسرعة. ولبلوغ هذه الغاية، لم تتوان الولايات المتحدة عن شن سلسلة من الهجمات التي شملت التضييق الاقتصادي على البلاد، وتأجيج الانقسامات العرقية والتشجيع على اندلاع حرب رأي عام إيديولوجي، ما أدى في النهايةِ إلى سقوط يوغوسلافيا في حالة من الانقسام والحروبِ الأهلية في التسعينيات من القرن الماضي، ثم كان مصيرها التفكك تدريجيا. ومع ذلك، فإن نزعة الولايات المتحدة إلى إحداث الفوضى لم يتوقف. فبعد اندلاع حرب كوسوفو قصفت قوات الناتو بقيادة الولايات المتحدة يوغوسلافيا بشكل عشوائي لمدة 78 يوما تحت شعار "تجنب الكوارث الإنسانية».

لم تكتف الولايات المتحدة بإشعال الحروب في أماكن ذات أهمية جيو استراتيجية كبيرة مثل شرق آسيا والشرق الأوسط وأوروبا، بل امتدت يدها العسكرية إلى أمريكا اللاتينية التي لطالما اعتبرتها "حديقتها الخلفية". وسعت واشنطن عبر مختلف المحطات التاريخية إلى الحصول على "ميزة مطلقة" في أمريكا اللاتينية بصورة دائمة. وبالنسبة لدول أمريكا اللاتينية التي لطالما صدمت رؤساء مناهضين لأمريكا، فقد حرضت الولايات المتحدة على تدبير انقلابات عسكرية أو عمدت مباشرة إلى إرسال قواتها الغازية. ففي أكتوبر 1983، غزت الولايات المتحدة فجأة غرينادا، وقبل ذلك، كانت الجزيرة الكاريبية تعاني من آثار حرب أهلية طاحنة، ويرى بعض المحللين أن الغزو الأمريكي لغرينادا لم يستهدف الأخيرة فحسب، ولكنها كانت بمثابة عرض للعضلات أمام الاتحاد السوفييتي ولتحذير وإرهاب الدول الأخرى ذات الميول المناهضة للولايات المتحدة مثل كوبا ونيكاراغوا.

ولم يكن الأمر ليقتصر على غرينادا فحسب، ففي نصف القرن الماضي غزت الولايات المتحدة العديد من دول أمريكا اللاتينية مثل بنما ودومينيكان لأسباب مماثلة. ومن حيث الجوهر، فإن ذلك يترجم سعي واشنطن لترسيخ "قوتها المطلقة" في أمريكا اللاتينية. حرب فيتنام وحرب الخليج والحرب الأفغانية وحرب العراق والحرب السورية... إن إلقاء نظرة على لائحة الكم الهائل من الحروب الخارجية التي شنتها الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، يقودنا إلى هذا الاستنتاج: إن إدمان الحرب أصبح تقليدا لدى واشنطن. ولم تسبب هذه الحروب اضطرابات في العالم فحسب، بل أدت أيضا إلى انتشار الشعبوية في الولايات المتحدة. ترفع الولايات المتحدة دائما رايات "حقوق الإنسان" و "الديمقراطية" عند شن الحروب. ولكن نزعتها إلى شن الحروب أسقط في الأخير ذلك القناع الزائف، وأدركت شعوب العالم جوهر السلوك الأمريكي.

بصراحة

التطبيع مرفوض شعبياً

سياسية التطبيع مع الكيان الصهيوني مرفوضة شعبياً من كل أطياف ومكونات شعبنا التي أكدت على رفضها في أكثر من حدث ومناسبة والبيانات الصادرة منذ التطبيع مع الكيان الصهيوني في ١٥ سبتمبر من عام ٢٠٢٠، ذلك التاريخ المشؤوم الذي مضى عليه عامان منذ توقيع اتفاقية التطبيع، فالقضية الفلسطينية هي القضية الوحيدة التي يجمع عليها شعبنا .

فاضل الحليبي

يحاول السفير الصهيوني في البلاد توثيق العلاقات من خلال زياراته للعديد من الوزارات والدوائر الحكومية ولقاءاته مع الوزراء وكبار المسؤولين وكذلك الحال مع وزراء الكيان الصهيوني ولكنهم لن يغيروا شيئاً من واقع الرفض الشعبي للتطبيع، كيف يصافح هذا السفير أو الوزراء الصهاينة المسؤولين في بلادنا وحكومتهم الصهيونية العنصرية ملطخة بالدم الفلسطيني وبقتل أطفال وشباب ونساء فلسطين.

لازالت حكومته تحاصر قطاع غزة والمدن المقاومة في الضفة الغربية وتطارد وتقتل الشباب الفلسطيني المقاوم فيها، وتزج بآلاف الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني، لمصلحة من يستمر التطبيع، ولماذا يخرق الإجماع العربي أو موقف أغلبية البلدان العربية الصادر عن القمم العربية في مقاطعة الكيان الصهيوني .

على شعبنا الاستفادة من تجارب وخبرات الشعبين المصري والإردني في إفشال سياسة التطبيع بالرغم من مضي أكثر من أربعين عاماً عليه، والتفكير في كيفية التصدي لمشاريع ومخططات التطبيع في بلادنا. وأن يتخذ مواقف جرئية وشجاعة في مواجهة المطبعين الذين يحاولون تبييض وجه الكيان الصهيوني القبيح ، ربما لدوافع ومصالح شخصية، وكشف حقيقة العدو الصهيوني الذي يحتل الأراضي الفلسطينية والسورية والعربية، ولن يتوانى في حياك الدسائيس والمؤامرات لتحقيق أهدافه ومآربه، كشفه وتعرية أهدافه ونواياه يتطلب جهود وطنية كبيرة من قبل الرافضين لسياسة التطبيع . ثقافة المقاطعة يجب أن تسود في المجتمع، وعالم الشوسال ميديا واسع من خلاله تنتشر ثقافة مقاومة ومقاطعة التطبيع في بلادنا، مثلما فعل الشعبان المصري والإردني.

يحاول الكيان الصهيوني من خلال توقيع العديد من الاتفاقيات مع الحكومة ممثل في وزارات الصحة، التجارة، السياحة، التربية وغيرها من الوزارات ليوثق علاقات التطبيع، ولكن شعبنا يرفض كل هذه الاتفاقيات لأنها تشكل خطورة على مستقبل الوطن، وتفتح البلاد على مصراعيه لنظام عنصري معادي للعرب في الأساس، يهمه مصالحه وترسيخ تواجده في البلدان العربية على حساب الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، نظام فاق في عنصريته وعدوانتيه نظام الفصل العنصري البائد في جنوب أفريقيا، جراء ارتكابه العديد من المجازر والجرائم بحق الشعب الفلسطيني الشقيق على مدار أثنين وسبعين سنة ولازال مستمر في ارتكابها، ويحضى بالدعم والتأييد من قبل الإمبريالية الأمريكية التي تبرر احتلاله وعدوانه على الشعب الفلسطيني المناضل والمقاوم .

يتطلب من شعبنا والشعوب العربية مواصلة الدعم لنضال ومقاومة الشعب الفلسطيني الشقيق لدحر الاحتلال الصهيوني وقيام الدولة الفلسطينيه الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

«التقدمي» يشارك في مهرجان جريدة «لافانتيه» البرتغالية

كتبت بدرية المرزوق:

شارك المنبر التقدمي في المهرجان السنوي السادس والأربعين الذي نظمه الحزب الشيوعي البرتغالي في الفترة بين 2- 4 سبتمبر 2022 في مقاطعة كاربوريكا البرتغالية بمشاركه 56 وفدا من الأحزاب الشيوعية والحركات التقدمية في العالم وبحضور جميع أعضاء اللجنة المركزية للحزب برئاسة الامين العام جيرونيمو سوسا، الذي افتتح المهرجان بكلمة ترحيبية بالضيوف، تلاه اجتماع عام بالوفود المشاركة.

وقد كان المهرجان رائعا من ناحية التنظيم وما احتوى عليه من برامج متنوعة ثقافية واجتماعية وترفيهية وجلسات حوار جماعية وثنائية وأوراق قيّمة تناولت كل القضايا على الساحة المحلية والعالمية، كما اكدت بعض الأوراق على أهمية تحقيق السلام في الشرق الأوسط.

واحتوى المهرجان على أجنحة عرض إعلامية وسياسية للوفود المشاركة، كما تخللت الموسيقى والأغاني الجميلة اروقه المهرجان بما يبعث على البهجة والسرور، وزينت الأجنحة بأعلام الدول المشاركة، وبينها العلم الفلسطيني الذي زيّن اجنحة الوفود الفلسطينية وشعارات تعبر عن معاناة الأسرى الفلسطينيين، والمطالبة بالإفراج عنهم

واختتم البرنامج بمهرجان غصّ بالحضور تخلله خطاب لرئيس اللجنة المركزية أعقبها اغان وهتافات وتضامن مع القضية الفلسطينية وضد الإمبريالية خاصة في هذه المرحلة التي تصعد فيها الإمبريالية ودول حلف الناتو من تصعيد للحرب في اوكرانيا

يعجز القلم عن التعبير عما كان عليه المهرجان من روعة في التنظيم، ومن العمل الدؤوب من قبل الرفاق في الحزب الشيوعي البرتغالي، وخاصة الشباب منهم من الجنسين، وما وجدناه من حسن الضيافة والإهتمام.

اللقاء اليساري العربي يؤكّد على مركزية القضية الفلسطينية

عقد اللقاء اليساري العربي اجتماعه العام في العاصمة اللبنانية بيروت، بضيافة الحزب الشيوعي اللبناني بين 16 و18 سبتمبر، بمشاركة معظم الأحزاب العضوة فيه. وبدأ اللقاء أعماله بالمشاركة في احتفال الذكرى الأربعين لانطلاقة جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية «جمول»، وتكريم القائد المقاوم الرفيق مازن عبّود، حيث تكلّم في الاحتفال عدد من الأحزاب الأعضاء في اللقاء، وهم الحزب الشيوعي اللبناني والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والحزب الشيوعي الأردني وحزب التقدم والاشتراكية المغربي والحزب الشيوعي المصري والتنظيم الشعبي الناصري.

ثمّ افتتح اللقاء أعماله نهار السبت 17 أيلول بندوة تحدث فيها الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني حنا غريب والمنسقة العامة السابقة للقاء ماري ناصيف – الدبس والقيادي في الحركة التقدمية الكويتية أحمد الديين وعضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين أركان بدر، وأدارها مسؤول العلاقات الخارجية في الحزب الشيوعي اللبناني عمر الديب، وحضرها عدد من ممثلي القوى السياسية والنقابية والاجتماعية الصديقة إلى جانب عدد من الرفاق والأصدقاء. واختتم الاجتماع بتشكيل لجنة تنسيق للقاء ضمت 10 أحزاب يسارية عربية، كما تمّت إعادة تكليف الحزب الشيوعي اللبناني لمهمة المنسق العام للقاء، حيث كلّف الحزب الرفيق سمير دياب منسقاً عاماً جديداً باسمه. ووجه المشاركون التحية للرفيقة ماري الدبس المنسقة السابقة للقاء وشكرها على الجهود التي بذلتها منذ تأسيس اللقاء.

وناقش اللقاء التطورات السياسية في المنطقة والمخاطر المحدقة فيها، وأكّد على مركزية القضية الفلسطينية وأولوية مواجهة العدو الصهيوني بكافة الوسائل المتاحة. كما استعرض كلّ من أحزاب اللقاء الأوضاع السياسية والاجتماعية في دولته ورؤيته للمواجهة والتغيير، في ظل تفاقم انعكاسات الأزمة الرأسمالية الشاملة على الشعوب العربية، نتيجة السياسات الاقتصادية النيوليبرالية المتبعة، واتساع رقعة الحروب العدوانية الامبريالية – الصهيونية، بهدف تمرير مشروع الشرق الأوسط الجديد وتفتيت المنطقة وشعوبها، وإمعان الأنظمة العربية في انتهاج سياسات الفساد والقمع وضرب الحريات الديمقراطية.

وقد شكّل تأسيس «اللقاء» فرصة أمام أحزاب اليسار العربي لإعادة تنظيم صفوفها وتجميع قواها على أساس برنامج نضالي مشترك لمواجهة مشاريع العدوان والاحتلال ومن أجل التغيير الديمقراطي.

هكذا تحدث ابراهيم ديتو عن سيرته في الحياة والنضال *

كان شاباً يافعاً، للتو تخرج من المدرسة الصناعية، كان ذلك في العام ١٩٥٤، حيث عمل مباشرة في التدريب بشركة نفط البحرين (بابكو).. هناك تعرّف على مشرف أحد الأقسام بالشركة اسمه عبد الرضا إيجاد، كان هذا الرجل بسيطاً جداً ومتواضعاً جداً ومثقفاً جداً فقد أعُجب به إبراهيم ديتو اعجاباً شديداً، هذا المسؤول مليء بالكتب والثقافة، بساطته الحياتية لا توحي ذلك.

ذات يوم صيفي كنا نعمل «ساعات إضافية» ـ عملٍ إضافي شاق بقسم جديد في الشركة وأثناء فترة الغذاء أحضر لنا أحد العمال «صالونه وعيش شيلاني» في إنائين كبيرين منفصلين، أو ربما في «صفر طاس» ـ أواني على شكل طبقات ـ بعضها مملوء بالرز وأخرى بصالونة سمك وخضرة .. لم يكن لدينا أي صحن أو «صينية» لنتناول عليها طعامنا، تساءلنا: كيف نأكل هذا الطعام وصاحبنا نسي صحون الأكل؟!.

على الفور همَّ مشرف العمل عبد الرضا إيجاد فمزق كيس ورقي كبير مستعمل مليء بالغبار ورذاذ السمنت، أخذ ينفضه من الغبار وبقايا الأوساخ المتصلبة، مرة، مرتان وثلاث حتى بدا نظيفاً نوعاً ما.. وضعه على شكل «سِفرة أكل»، هكذا كنا نعتقد، لكنه فاجأنا بسَكب الرز على ورق كيس السمنت ووضع الصالونه على الرز وكان هو أول من ابتدأ بالأكل ليشجعنا، غدا العمال ينظرون لإيجاد ولبعضهم البعض باستغراب .. التّف العمال على شكل دائري حول «السفرة» وقال أحدنا: «الحاجة أم الاختراع»، آخر تفوّه بمثل شعبي رائج: «مسمارك منك يا لوحة!».. صرنا نأكل ونضحك فكسب بتواضعه انجذابنا لبساطته وتواضعه.

شخصية عبد الرضا إيجاد أشعرتني لوهلة أنه شخص عظيم ومميز، الابتسامة لا تفارق محياه، بساطته وإنسانيته تسحرني فصرت أتقرب إليه وتشدني شخصيته ودماثة أخلاقه، أعجب بأقواله وأحاديثه، يقول ديتو: كانت هذه البدايات لاختيار طريقي وأتياسر (أتجه نحو اليسار السياسي) في النضال.

ذات مرة سألني عبد الرضا إيجاد: إبراهيم هل تعرف القراءة والكتابة؟!.. قلت نعم؛ أنا خريج المدرسة الصناعية فكيف لا أجيد القراءة والكتابة؟.. فاجأني بسؤال آخر: ماذا تقرأ في أوقات فراغك؟!. تلعثمت، وقتها كنت أقرأ مجلة «المصور» و«الكواكب» وبعض المخطوطات، قراءاتي كانت بسيطة لا تتجاوز المجلات التي تقع تحت يدي أو التي اشتريها أو أتبادلها مع الأصدقاء.

عبد الرضا إيجاد عندما شعر بارتياحه له سأله سؤآل آخر: «أين تذهب بعد انتهاء الدوام في الشركة، أيوجد لديك مانع للخروج معاً إلى مكان ما ـ مقهى شعبي مثلاً؟.. وافقت في الحال، وخرجنا، حيث أعطاني رواية «وراء الرغيف» لجورج حنا، وهي أول رواية أقرأها، ومن ثم أعطاني كتب سلامة موسى، وكتب ماركسية لاحقاً، وللحقيقة كانت الكتب الماركسية صعبة ولم أفهمها في البدايات آنذاك، حيث كان يشرح لي لتبسيطها، وبعدها أدخلني في شلته وكان من ضمنهم أحمد الذوادي الذي تعرفت على أخويه، خالد وعبد اللطيف، وبعض الرفاق الآخرين من أصول فارسية: على مدان، حسن نظام حتى غدوت التعرف على الحركة الاشتراكية العالمية.

عبد الرضا إيجاد بحريني من أصول إيرانية، وهو من عائلة غلوم مستشار ـ صاحب فندق مون بلازا سابقاً، وكان عبدالرضا من مناصري حزب تودة، وهذا الرجل قتلته المخابرات الإيرانية (السافاك) فيما بعد عن طريق دسّ السم له ولرفاقه في وجبة غذاء، طريقة استشهاده مسموماً تحتوي على تراجيديا فكان لآخر لحظة في حياته تتجسد صفاته في نكران الذات ومساعدة الآخرين: حمل رفيقه لإنقاذه وسقطا معاً وتوفيا أمام باب المستشفى بطهران (أواخر الخمسينات).

بحكم عملي في شركة النفط "بابكو" 1954ـ1955، يقول إبراهيم ديتو، أدخلت في عدة دورات في أقسام مختلفة بالشركة، كما استفدت كثيراً من الدورات التي كانت "بابكو" تبتعثني فيها إلى بريطانيا ولبنان، وبالإضافة إلى الدراسة والتدريب تعرفتُ فتات وجودي في الخارج، على الأحزاب الشقيقة وتجاربها النضالية ونسج العلاقات الرفاقية معهم.

أتذكر كنا نذهب لاجتماعات هيئة الاتحاد الوطني، التي رافقتها بعض الاضرابات العمالية، رفقة حسن جناحي وعلي مدان (من المؤسسين الأوائل للتنظيم)، وكان هذا الأخير (مدان) عامل بسيط جداً لكنه غزير الثقافة ومناضل متماسك.. وكنا نستخدم بعض البيوت كأوكار حزبية وأماكن للقاءات والاجتماعات ودراسة الأفكار التنويرية التقدمية والماركسية وتبادل الكتب الممنوعة.

الخلايا الأولي التي شكلت الجبهة انبثقت من رحم الطبقة العاملة في شركة بابكو وشركة "اكمي" ـ شركة الإنشاءات الرئيسية في البحرين، حيث تقوم هذه الشركة بتنفيذ أعمال لبابكو، وكانت خلايا أخرى منتشرة في أوساط طلاب الثانوية بالمنامة وفي مناطق عديدة خارج العاصمة، كالمحرق وغيرها. في بعض الاجتماعات كنا نصطدم مع هيئة الاتحاد الوطني، كما حدث في عملية الإضراب في بابكو، حين نشأ جدال بين عبد الرحمن الباكر وحسن نظام، حيث لم نكن على اتفاق معهم بعض المسائل.

عبد الرضا إيجاد هو الذي عرّفني على جبهة التحرير وحوّلني من "سمبتانز" (نصير للتنظيم) إلى رفيق في صفوفه، وأتذكر حينها قال لي: هناك تنظيم تقدمي في البحرين يسترشد بالأفكار الماركسية وينتصر للطبقة العاملة والكادحين يسمى جبهة التحرير الوطني، فهل ترغب في الانضمام إليهم وتعمل في صفوفهم؟..

وعلى الفور وافقت على العمل في صفوف التنظيم بعد أن تشبعت بالأفكار الماركسية وآمنت بها، وكان رابطي (مسؤولي في التنظيم) حسن جناحي.

في تلك الفترة الخمسينية كانت لنا لقاءات مع الرفاق الشيوعيين الهنود وخاصة في الاحتفالات العمالية وفي الأول من مايو (عيد العمال العالمي) حيث كنا نحتفل بهذه المناسبة وغيرها مثل عيد النيروز في البساتين بالقرى، ونصدر ونوزع مناشير باللغتين العربية والانجليزية ليقرأها العمال الانجليز والهنود، وكان بعض الانجليز أيضاً يتعاطفون مع قضايانا التي نناضل من أجلها في سبيل التحرر والديمقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية الحقيقية.

من الحكايات التي يتذكرها المناضل ديتو: نظراً للاجراءات الأمنية المشددة، وصعوبة طباعة منشورات الجبهة، كنا في حاجة لآلة ناسخة (استنسل)، فقررنا أن "نستولي" على واحدة من شركة كريمكنزي.. كانت الآلة الناسخة موضوعة على الباب، فوضعنا خطة محكمة، حيث دخل بعض الرفاق داخل الشركة للمشاغبة وإلهاء الحراس في وضح النهار، بينما قام رفاق آخرون بإخراجها من المحل وبوجود الموظفين بهدف طباعة المناشير والنشرات وأدبيات الحزب، ولأننا ببساطة لم تستطع تأمين مال لشراء مثل هذه الآلة التي نحتاجها بحكم امكانياتنا المتواضعة.

في قصة للكاتب الإيراني اليساري الراحل صمد بهرنجي «أولدوز والغربان» تقول أم الغربان في حوارها مع أولدوز: «إن لم أسرق فسأموت أنا وصغاري من الجوع. هذه هي الجريمة يا عزيزتي... يجب أن تعرفي أن هذه النصائح الجوفاء لا يمكن أن تمنع السرقة. وطالما ظل الإنسان لا يحب إلا نفسه فستبقى السرقة».

في فترة الخمسينات والستينات كان هناك مدٌّ قومي وبعثي، وكان بعض منتسبي تلك التيارات يكنون لنا العداء باعتبارنا "شيوعيين"، وكنا منتبهين لذلك، فوزعنا منشوراً داخلياً لأعضاء الجبهة محذرين من الانزلاق في خلافات تشق الحركة الوطنية ليحقق المستعمر مآربه في تفتيت وحدتنا الوطنية وبث سموم التفرقة، ونعلم أن عدداً من المناضلين القوميين تحولوا إلى صفوف الجبهة، ومنهم أحمد الشملان ومحمد جابر الصباح وبدر عبد الملك وآخرون، حيث كانوا معنا في سجن "جدا".

محطات الاعتقال.. والوطن

* اعتقل المناضل إبراهيم ديتو أول مرة في العام 1961، كما اعتقل في أبريل أثناء انتفاضة مارس 1965 وآخر اعتقال له في العام 1968 ثم أبعد إلى الكويت في العام 1969 وهناك عمل في شركة نفط أسبانية كويتية وفي جامعة الكويت.

* في عام انتفاضة مارس المجيدة 1965، تم اعتقاله من قبل نائب مدير الاستخبارات البريطانية آنذاك، الأردني أحمد محسن، من منزله في أم الحصم، حيث قام بضربه لحظة القبض عليه وتفتيش المنزل، كان دوره في التنظيم توزيع المناشير وتنظيم الخلايا، ليست له نشاطات طلابية بل نشاطه الذي كان التنظيم يكلفه به يحرص على تنفيذه والاتقان فيه.

* في اعتقال 1968 كان معه في السجن عبد الله الراشد البنعلي وعلي دويغر وسيد إبراهيم سيد سلمان وعبدعلي الخباز وموسى داوود ومجيد مرهون وحسن الحجري والحاج عيسى الديري، حيث كان الأخير يعمل بإخلاص شديد شأنه شأن بقية الرفاق آنذاك.

كويت.. منامة، ومنامة كويت

* أول مرة رجع إلى البحرين من الكويت بعد نفيه إليها كان في العام 1978 لتجديد جواز سفره، حيث رفضت سفارة البحرين في الكويت تجديده وتم سحبه لمدة ستة شهور وبعد لقاء مع وزير الداخلية آنذاك الشيخ محمد بن خليفة آلخليفة، حيث كان زميل دراسة في الإبتدائية اتهمني بعد الترحيب بي بتهمة العمل ضد الدولة وتحريض الطلبة البحرينيين في جامعة الكويت على كراهية النظام، وذلك حين يجتمعون معي بحسب إدعاءاته في «مختبر الجامعة»، يقول ديتو، وقلت له لا يوجد عندي مختبر في الجامعة وإنما مكتب للتخطيط الهندسي، والمعلومات التي أوصلوها إليكم مغلوطة..

أمر وزير الداخلية بإعطائه جواز السفر وتجديده، لكنه حصل على مضايقات فيما بعد من الأمن الوطني الكويتي أثناء الحصول على إقامة في الكويت، وبعد جهد جهيد تمت التسوية، حيث كنت أتهم من قبل الأمن الوطني الكويتي في بث الأفكار الشيوعية وسط الطلبة بالجامعة وفي الكويت عموماً وهي منافية للعادات والتقاليد والثقافة الإسلامية عند الكويتيين، وفق زعمهم.

انفتاح صار انغلاقاً

ناضلنا من أجل البرلمان والديمقراطية والعدالة الاجتماعية الحقيقية، يقول ديتو، لكن حدث حصل تفكك في المجتمع بعد الانفتاح ورجعنا للخلف نتيجة انغلاق كل فئة على بعضها، حيث أن الجبهة عند تأسيسها منذ البداية، أيام هيئة الاتحاد الوطني كانت تضم أعضاءاً من مختلف الانتماءات: العرب والفرس والأرمن وغيرها من القوميات وأخذت الطابع الوطني الأممي، وكان الفضل في تأسيس الجبهة يعود لنشطاء ثوريين بحرينيين، وساهم رفاق من حزب توده الإيراني فروا من إيران بعد انقلاب 1953 على حكومة مصدق الوطنية في تأسيس الجبهة، وفيما بعد بنت الجبهة علاقات رفاقية ونضالية مع الحزبين الشيوعيين في العراق ولبنان، وقوى اليسار العالمي والأحزاب الشيوعية والعمالية في الدول الاشتراكية.

هامش

(*) هذه الشهادة أدلى بها الرفيق الراحل في حديث مع فريق شكّله المنبر التقدمي، عام 2015، لتدوين سيرة أوائل مناضلي جبهة التحرير، وتولى رفيقنا الراحل أحمد البوسطة تحريرها، وسبق أن نشرت «التقدمي» جزءاً منها.

من الرعيل الأول ومن مؤسسي «جتوب»

التقدمي ينعى المناضل «ديتو»

ينعى المنبر التقدمي في البحرين المناضل الرفيق إبراهيم جمعة ديتو، أحد أبناء الرعيل الأول من المناضلين التقدميين، فهو من مؤسسي جبهة التحرير الوطني في 15 فبراير 1955، وممن ساهموا في وضع لبنات الأفكار التقدمية في البحرين، وفي الدفاع عن حقوق الطبقة العاملة، وفي إرساء تقاليد النضال الطبقي، والكفاح ضد المستعمر البريطاني وعملائه، ودفع ضريبة خياره الوطني والتقدمي وانحيازه لقضية شعبه ووطنه، بالسجن والمنفى الطويل.

ولد الرفيق الراحل في منطقة القضيبية بالمنامة عام 1936، حيث قضى طفولته وصباه في أحياء القضيبية نفسها والحورة وفريق الفاضل، وبعد تخرجه من مدرسة الصناعة الثانوية التحق بشركة نفط البحرين «بابكو»، التي ابتعثته في العام 1958 لبريطانيا في دورة تدريبية ضمن أولى مجموعات من ابتعثتهم الشركة للتدريب، ومكث هناك عاماً ونصف، عاد بعدها لمواصلة عمله في الشركة، وعرف عنه شغفه بالثقافة والفن، واحترف الرسم الهندسي.

بسبب نشاطه الوطني والنضالي اعتقل الرفيق الراحل عدة مرات في الستينات، حيث دخل المعتقل في أعوام 1961، 1965، 1966، وبعد اعتقاله في عام 1968، ضمن حملة الاعتقالات الواسعة التي طالت كوادر ومناضلي جبهة التحرير الوطني، قدّم إلى محاكمة صوريّة، بعد شهور من اعتقاله، حكمت بنفيه إلى الخارج، حيث استقرّ في الكويت مع عائلته عقوداً، وفيها التحق، بدايةً، بشركة النفط الإسبانيّة العاملة في الكويت، ثم عيّن في قسم الجيولوجيا بجامعة الكويت كرسّام هندسي، وفي السبعينات رفضت سفارة البحرين في الكويت تجديد جواز سفره، طالبة منه العودة إلى البحرين لتجديده، وبعد عودته سحب جوازه، ومنع من السفر لأكثر من عام ونصف العام، ما أدى إلى خسارته وظيفته في جامعة الكويت، ولما عاد ثانية إلى الكويت عمل في شركة النفط الكويتية، قبل أن يغادر الكويت إلى البحرين للاستقرار فيها بصورة نهائية في العام 2006.

ظلّ الرفيق ابراهيم جمعة ديتو متمسكاً بأفكاره التقدميّة، ثابتاً على مواقفه الوطنيّة حتى آخر حياته، لروحه السلام ولذكراه العطرة الخلود ولرفيقة دربه أم محمد ولابنيه محمد وفهد ولبناته منى وهدى وندى ولكل رفاقه ومحبيه صادق العزاء.

إبراهيم ديتو

قبل سنوات التقيت في عزاء بصالة جمشير بالبسيتين لأحد رجالات المحرق والبحرين أحمد سند، أبو زياد، بالرفيق العزيز أحد مؤسسي جبهة التحرير الوطني ابراهيم ديتو الذي كان برفقة ولده البكر محمد، حيث جلسنا متقاربين ومعنا الأخ علي ربيعة، وكان هذا اللقاء مناسبة لاستعادة رصيد الذكريات الغني مع «ابو محمد».

محمد نصر الله

وأعادنا الحديث مع الرفيق ابراهيم إلى السنوات الخوالي، وتحديداً إلى العام 1970، عندما عاد إبراهيم إلى البحرين قادما من الكويت لأن سفارة البحرين هناك رفضت تجديد جواز سفره، والمعروف أن ابراهيم نفي من قبل رئيس المخابرات هندرسون إلى الكويت بعد حملة الاعتقالات الواسعة التي استهدفت مناضلي جبهة التحرير الوطني عام 1986، مما دعاه إلى القدوم لوطنه البحرين هذه المرة بغية تجديد الجواز.

وكانت العادة قد جرت حين يحين موعد تجديد جواز سفره يذهب للسفارة البحرينية في الكويت للقيام بهذه المهمة الاعتيادية، لكنهم في تلك المرة رفضوا تجديد الجواز وطلبوا منه انجاز ذلك في دائرة الهجرة والجوازات في البحرين، ولم يكن هناك بداً من فعل ذلك، فبدون جواز سفر ساري المفعول ليس بوسعه انجاز أي معاملة تخصه شخصياً أو تخص أفراد عائلته، فكل المعاملات مرتبطة بابراز جواز السفر سواء أكان الشخص متواجداً في داخل وطنه أو خارجه، وسواء كانت هذه المعاملة معقدة أو بسيطة.

فرجع إلى البحرين وقدّم جوازه إلى الجهات المختصة في دائرة الجوازات والهجرة حيث توقّع أن يتم إنجاز هذه المهمة خلال أسبوع أو أسبوعين أو أكثر، إلا أن المدة طالت، وعندما راجع الجوازات بعد أسبوع واحد متوقعا أن يكون جوازه جاهزاً، أبلغ بأن الجواز مازال في حوزة الجهات العليا الرسمية إلا أنهم لم يحددوا له من هي هذه الجهات العليا، حتى يتمكن من طرق بابها للتعجيل بالأمر، لأن عليه العودة إلى عمله في الكويت.

وأثار ذلك استغراب الرفيق ابراهيم هو الذي اعتاد أن يجري تجديد جواز سفره في سفارتنا بالكويت بشكل طبيعي، خاصة وأن وجوده في الكويت جاء بسبب نفيه من البحرين، ولم يكن محض اختيار منه، فما الذي استجدَّ في الأمر كي يعطل تجديد الجواز هذه المرة، خاصة وأنه لم يتعرض بعد عودته لأي تحقيق أو توقيف، فهو حر طليق يتوجه إلى حيث يشاء ويقابل الجهات الرسمية وبعض الأهل والأصدقاء والزملاء الذين كانوا يعملون معه في بابكو قبل اعتقاله وفصله من عمله وترحيله إلى الكويت.

وبعد مراجعة الجهات الخاصة في إدارة الهجرة والجوازات، لم يحصل على أمر جديد يطمئنه على قرب حصوله على جوازه، لأن الموظف المسؤول في هذه الإدارة لم يحصل على أمر التجديد من الجهات الرسمية العليا.

مضيت شهور على تقديم هذه المعاملة الرسمية، دون أن يرد أي جواب رسمي عن موعد تنفيذ تجديد جوازه وإعطائه جواز سفر جديد له. فما كان منه إلا أن يتحرك وفق هذه المعطيات، وبجهود من المرحوم أحمد سند تمَّ ترتيب لقاء مع مدير دائرة الهجرة والجوازات آنذاك الشيخ صباح بن عبدالرحمن الخليفة، للاستفسار منه عن السبب الحقيقي لعدم تجديد جواز سفره، فأبلغه أن هناك معلومات تفيد بانك مستمر في العمل السياسي ضد الحكومة حتى وأنت في الكويت، وأنك تقوم بتحريض طلبة البحرين هناك ضد الحكومة وسياساتها، وأن عليه توضيح أسباب ذلك، خاصة وأن هذا التصرف تترتب عليه عقوبات لأنه مخالف للقانون.

فرّد أبو محمد بأن ذلك غير صحيح، فالفارق في العمر بينه وبين الطلبة البحرينيين هناك كبير، وأنه منصرف إلى عمله وتدبر شؤون عائلته، ولا صحة للمعلومات الواردة، وأنه يرفضها جملة وتفصيلا وأنه برئ منها كل البراءة، فإذا كان لديكم من يدعي بذلك فليقابلني في محاكمة مفتوحة وأنا سأدافع عن نفسي وأرد على كل تهمة من التهم بالبطلان.

وأعاد الرفيق ابراهيم المطالبة بتجديد جواز سفره كي يعود إلى عائلته وأبنائه وإلى عمله، خاصة وأن نحو ستة شهور قد مرت منذ أن عاد إلى البحرين لتجديد هذا الجواز. وما كان هذا اللقاء سيتم لولا جهود المرحوم أحمد سند الذي تجمعه علاقات صداقة مع الشيخ صباح، حيث قال له أحمد سند: هل يرضيكم أن الرجل بعيد عن عائلته وعمله، واتضح أن مدير الجوازات كان يعتقد أن ابراهيم ديتو معتقل، ففوجيء بما قاله له أحمد سند.

بعد شهر من هذه المقابلة صدرت الأوامر بإعطاء إبراهيم ديتو جواز سفره مجدداً حتى تمكن من شدّ الرحال مجدداً إلى الكويت، بعد صبر ومعاناة، وكان هذا اللقاء مع الرفيق إبراهيم في عزاء المرحوم أحمد سند مناسبة لاستعادة الذكريات الصعبة التي ترينا ما كابده مناضلونا وعائلاتهم من متاعب وصعاب، وأيضاً استعادة الدور المشرف والإنساني للمرحوم أحمد سند الذي جمعته مع ابراهيم ديتو وعائلته علاقة صداقة وأخوة في الكويت، حيث كان المرحوم نفسه يعمل هناك أيضاً.

إبراهيم ديتو الراحل الباقي

مساء الجمعة السادس عشر من سبتمبر ٢٠٢٢ رحل عن دنيانا الرفيق إبراهيم جمعة ديتو عن عمر ناهز ٨٧ عاماً، وهو واحد من الرعيل الأول لمؤسسي جبهة التحرير الوطني البحرانية، قضى جلّ حياته وزهرة شبابه وعنفوانه في النضال، رحل جسداً كباقي الرفاق الذين سبقوه وبقيت مآثرهم وخصالهم النضالية شامخة، بل وأصبحت دافعاً مقرباً للأجيال القادمة للتمسك بالطريق الذي اختاروه لأنفسهم، ألا وهو طريق النضال ضد المستعمر البريطاني الغاشم، ذلك الطريق المبني على المنهج الماركسي اللينيني.

حسن جاسم

الرفيق إبراهيم ديتو هو واحد من أولئك المناضلين الذين تميّزوا بصلابتهم ودماثة خلقهم وبساطتهم إلى جانب تحديهم كل الصعاب والعراقيل التي واجهتهم في معمان النضال، وشدّة تمسكهم بقضيتهم الوطنية في الدفاع المتين ومقارعتهم السياسات الاستعمارية الرامية لاستغلال الانسان للإنسان ومن أجل تحقيق الحرية والعدالة والديمقراطية.

الرفيق إبراهيم ديتو كان في شبابه أحد عمال النفط في شركة بابكو، لذلك تأثر بالوضع العمالي واندمج مع بعض العمال في البحث عن مخرج لقيادة الطبقة العاملة في تحركاتها ضد المستغلين وعلى رأسهم المستعمر البريطاني ، ومن هناك باعتقادي استطاع إبراهيم بوعيه الثوري والطبقي أن يكون من صفوف الرعيل الأول لتأسيس الجبهة، ونتيجة حتمية لتحركاته السياسية في أوساط العمال والجماهير الكادحة في المسيرات والمظاهرات تعرض للاعتقال في العديد من المرات والتي كان اخرها الحملة الشرسة التي قامت بها السلطة في صيف عام 1968، التي شملت العديد من كوادر ورفاق الجبهة الذين تمّ ترحيلهم إلى سجن جزيرة جدا، حيث وضع الرفيق عبد الله الراشد البنعلي في زنزانة انفرادية، والرفيق إبراهيم ديتو مع الرفيق علي دويغر في زنزانة أخرى، والرفيق إبراهيم سلمان مكي مع الرفيق احمد جيناوي في زنزانة ثالثة، والرفيق موسى داوود مع رفيق آخر لا أتذكر اسمه حالياً في زنزانة رابعة، وهكذا بقية الرفاق الذين رحلوا الى جزيرة جدا، وقد مكثوا جميعا لعدة أشهر سجناء فيها.

كان الرفيق إبراهيم ديتو يمتاز بالأخلاق العالية المتمثلة في تمسكه بتعاليم حزبه والدفاع عنه، إلى جانب اخلاصه لمبادئه العقائدية المتمثلة في التعاليم الماركسية اللينينية، وكان حريصا على الإطلاع باستمرار على مختلف المعارف الإنسانية، فكان يشتاق في المعتقل لقراءة القصاصات الورقيّة، ويتحرى الأخبار حول وضع الرفاق الاخرين داخل السجن وخارجه رغم ان الوقت لم يمهله كثيرا حتى حل علينا عام 1969. ففي هذا العام تمّ ترحيل أغلب المعتقلين للخارج، فاختار الرفيق إبراهيم ديتو مع موسى داوود دولة الكويت، ومن دولة الكويت أخذ الرفيق إبراهيم ديتو يتنقل من بلاد إلى أخرى كي يلتقي برفاق دربه من أجل مواصلة مشوارهم النضالي من الخارج، وكما يتذكر بعض الرفاق أنه عندما كان بالعراق كان يتردد على منزل الرفيق عبد الله الراشد البنعلي، ذلك السكن الذي اصبح ملتقى للعديد من الرفاق والأصدقاء والذي كان من بينهم الرفيق الراحل د. يعقوب الجناحي مع زوجته التي كانت حاملاً بابنتها البكر لطيفة، واستمرت العلاقة بين د. يعقوب والرفيق إبراهيم ديتو منذ ذلك الوقت حتى وقت الفراق الأبدي من هذا العام 2022.

لروحهما وأرواح جميع الرفاق الذين غادرونا الرحمة والسكينة والسلام.

لتبقى الذكرى في قلوب محبيهم والصبر والسلوان لنا جميعا ولعائلاتهم.

اللقاء الأول مع إبراهيم ديتو

أول مرة التقيت فيها المناضل الراحل إبراهيم جمعة ديتو كانت في سوريا في أوائل الثمانينات الماضية. كان الفقيد قد أتى إلى دمشق بالسيارة صحبة زوجته أم محمد وأولاده، ليتوجهوا منها نحو بلغاريا لزيارة ابنته هدى التي كانت قد التحقت بالدراسة الجامعية في بلغاريا، حيث أقاموا بضعة أيام معنا، قبل مواصلة رحلتهم، وكانت تلك فرصة للتعرف على الرفيق إبراهيم ورفيقة دربه أم محمد عن قرب، فلمست جميعاً فيهما دماثة الخلق والطيبة والود الكبيرين، وكان أبو محمد واحد من ثلاثة رفاق أجريت معهم حواراً حول ذكرياتهم عن بدايات تأسيس جبهة التحرير الوطني، فبالإضافة إليه، كان الرفيق الراحل علي مدان والرفيق عبدالله البنعلي أطال الله في عمره.

د. حسن مدن

في ذلك اللقاء أشار الرفيق إبراهيم إلى الخلايا العمالية الأولى التي شكلتها الجبهة في شركة النفط (بابكو) وفي شركة (أكمي) وهي شركة الإنشاءات الرئيسية في البحرين يومذاك وكانت تقوم بتنفيذ أعمال عائدة لشركة (بابكو) بموجب ما يعرف بنظام الدفع، بالإضافة إلى خلايا للجبهة في أوساط طلاب المدرسة الثانوية بالمنامة، ومنذ البدء لم تكن خلايا الجبهة محصورة في العاصمة فقط، بل كانت موجودة في مناطق سكنية أخرى غير المنامة.

غير أن اسم شركة (أكمي) بالذات اقترن بالنضالات الأولى للطبقة العاملة البحرينية منذ بداية خمسينيات هذا القرن بقيادة مناضلي الجبهة الأوائل، إذ كان عددا منهم عمالاً في هذه الشركة ومن بينهم الشهيد حسن نظام والراحل علي مدان. وكان من أوائل إضرابات العمال في هذه الشركة إضراب في عام 1954للمطالبة بتحسين أوضاع العمال.

ومن الذكريات التي أتى أبو محمد عليها، حرص الجبهة، ومنذ الأول من مايو عام 1955 على تكريس تقليد سنوي بتنظيم رحلة إلى البساتين في القرى خارج العاصمة احتفالا بعيد العمال العالمي، وكان هو من بين حضور بعضها، وقدّر عدد من شاركوا في الرحلة التي نظمت في الأول من مايو 1955 بالعشرات، إذ نقلتهم إلى البستان مجموعة من الباصات الخشبية القديمة، وتعد هذه الرحلة أول شكل للاحتفال بعيد العمال العالمي في بلادنا، وفي هذا الاحتفال ألقيت كلمات عن المعاني الكفاحية التي يجسدها هذا اليوم كرمز للوحدة النضالية بين بروليتاريي بلدان العالم، مثلما شرحت ظروف النشأة التاريخية لفكرة هذا اليوم تخليدا لذكرى العمال الأبطال الذين سقطوا برصاص الغدر الراسمالي عام 1886 في مدينة شيكاغو بأميركا، وأنشدت الأناشيد الثورية الأممية والوطنية.

كما جرت الإشارة من قبل الرفاق الثلاثة الذين حاورتهم إلى أن الجبهة فكرت يومها في مشروع كان في حينه طموحاً جداً بالنظر إلى إمكانات الجبهة المحدودة وقلة كادرها، إذ أعلنوا عن تشكيل اتحاد لعمال البحرين طبع عدة منشورات ووزعها، غير أن الظروف التنظيمية لم تسمح بالاستمرار في العمل تحت هذا الاسم، بسبب أن الجهد الأساسي للرفاق حينها كان منصبا على بناء الجبهة ذاتها، وكان العمل في الإتحاد العمالي يتم على حساب العمل لبناء الجبهة مما استدعى صرف النظر عن هذه المحاولة بعد فترة لا بأس بها من بدئها.

كل العمر سفر نحو الابتسامة

إبراهيم جمعه ديتو ...أبي، صاحب تلك الابتسامة الجميلة المنحدرة من نبع طفولة حافلة بالمعاناة والمنهمرة كشلال يحمل في قلبه كل أحلام شباب جيله وآلام ما قبل جيله.

الأسمر الوسيم، الذي انصهر بحياة شعبه في لهيب شموس الفاضل والحورة والقضيبية، فتشكلت شخصيته من ثراء وتنوع ثقافات هذا الشعب ...المنفي الذي استوطن إنسانيته كلما زادت غربته عن الوطن.

تلميذ «المنامة» الذي عشق المعرفة ومتدرب «العوالي» الذي إمتهن الإتقان طيلة حياته..

محمد ديتو

تنازعت نفسه بين الفن والعلم فاحترف الرسم الهندسي ... تقاطع دربي حياته بين عالم السياسة والأسرة، لم يحترف الأولى ولم يغلق على نفسه الباب في الثانية ... إختار الصداقة الإنسانية بكل بساطتها وعظمتها ...

"بومحمد" صديق الكويتيين والبحرينيين ... صديق «اليمني» و«العراقي» و«الفلسطيني» و«السوداني» .. يفهمه «الهندي» و«البنغالي» مثلما يحبه «الإسكوتلندي»...

كرمه يمتاز بمذاق المحبة التي تذوب في ذاكرتك حتى يتحول «الكرم» و«المحبة إلى مرادفين لإسم «إبراهيم.

بدأ شبابه بالوقوف أمام مفترق الطرق السريعة للأفكار الهائجة في ذلك الزمن الخمسيني الهادر.. زمن الأحلام والآمال والتضحيات.. زمن الخيارات الصعبة.. عدها لم تعد تفتنه وعود الوظيفة ولا مناصب المستقبل...قيمه ومبادئه أغلى بكثير من كل ذلك .. ليست بضائع للبيع في سوق الحياة .. هو العاشق لوطنه وشعبه وأسرته وأصدقائه لم يدر ظهره إلى الوراء ساخرا أو متهكماً، بل فضل أن ينظر للأمام، واثقاً متفائلاً، مبتسماً، مثل صورته وهو يهبط في مطار البحرين قادما من لندن في أواخر الخمسينات.

ابتسامته لن تتوقف ..إذ ليس لها زمن ولا محطة وصول تنتهي عنها ..

إنها بوصلة تشير إلى ما ينبغي عليك فعله إذا رغبت بالسفر إلى المستقبل.. ابتسامة الواثق .. ابتسامة المستنير!

الدّيمقراطية وحسن إدارة الأوطان

خليل يوسف

في شأن الديمقراطية ومنظومتها يمكن ان يقال الكثير ، وإذا كان ثمّة حاجة للتذكير بأنها وبايجاز شديد حريات وحقوق وواجبات ومساواة، وبمقدار حضورها كممارسة يومية تطال جميع مناحى الحياة، وأسلوب للتفكير والسلوك والتعامل فى أبسط القضايا حتى اكبرها واخطرها، ووسيلة للتغيير فى الظروف وفى المناخ وفى الآفاق والا اصبحت الديمقراطية مشروعاً مؤجلاً، نتشدق بها، ننهمك بالشعارات اكثر مما نمارسها همة واهتماماً، نتحدث عنها، ومنذ أعوام اصدر استاذ العلوم السياسية اللبناني غسان سلامة كتاباً عنوانه "ديمقراطية بدون ديمقراطيين" وصف فيها حالة غياب الديمقراطية فى البلدان العربية التى يرى أنه قد استعيض عنها مع سبق الاصرار والترصد بالبيروقراطية التى تمسك بدفة الأمور فى هذه البلدان، وهذه باتت لها قدرات فائقة على قلب كل مقتضيات الديمقراطية الحقة!

الديمقراطية ليست شكلاً او هبة او منحة او مكرمة من احد، وليست أفكاراً مشوهة عن الولاء او عن التنمية والتقدم، وهى لا تنحصر أو تتمثل فى مجالس نيابية او هياكل او هيئات صورية، او احزاب ونقابات وجمعيات ونقابات مقيّدة ولا حول لها ولا قوة ونقدمها على انها شكل من اشكال المشاركة الشعبية والتطور الديمقراطي، وانما الديمقراطية عملية تحويل جذرية للمجتمع من حيث طبيعة السلطة فى المجتمع، وعلاقات القوى بين مكوناته، يمكن القول انها حقوق أساسية لاغنى عنها، وهى دائمة ومستمرة، ولها قواعد وتقاليد، هى ليست من اجل قلة، او فئة بل هى للجميع ولأجل الجميع دون تمييز، هى حالة حياتية تتفاعل مع البشر يتفاعلون معها ويحددون على اساسها خياراتهم الكبرى ، فتغيرهم ويغيرونها من وضع حسن الى الأحسن، هى التى تجعل الأنظمة اكثر فاعلية وكفاءة، واكثر وعياً ومسؤولية، وهى التى تنتصر على كل الأفكار الاستبدادية العقيمة والتسلح بالحق والعدالة، هى باختصار تعنى حماية المواطنة بقدر ما تعنى حسن ادارة الأوطان .

هذه الديمقراطية احتفل العالم بيومها العالمى فى الخامس عشر من سبتمبر، واذا كان من اهم اهداف هذه المناسبة الوقوف على تطور الممارسة الديمقراطية بشكل عام، وتبيان اهمية الديمقراطية كمسار حياتى للشعوب التى ناضل جيل كبير منها من اجل بلوغها بكل تجلياتها، ودفع كل دولة من اجل تعزيز المكتسبات الديمقراطية فيها، الا ان كثير من الدول تحتفى بهذه المناسبة ولكن من باب انها مجرد ذكرى عابرة والسلام، تستغل ورقة الديمقراطية لتردد الكلام الخالي من الدسم، والفارغ من المعنى والمضمون ..!!

ذكرى عابرة والسلام ، أليس هذا مايحدث الآن فى كثير من البلدان التى شوهت كل المعانى الديمقراطية و اعاقت المسيرة الديمقراطية او امتصت حيويتها وما فيها نفس ديمقراطي، وجعلت الديمقراطية آخر همومها، بل وجدنا من يطرح بان الديمقراطية بدعة مستوردة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار، وطرحت فى هذا الاطار ما يندرج تحت عنوان خطف الديمقراطية على نحو فيه الكثير من السطحية والتلفيق الساذج ، كما وجدنا كم من الجرائم ترتكب باسم الديمقراطية، وكم من ممارسات جعلتها اشكالاً من المظاهر، مفرغة من الروح، وهناك دول جعلت عباءة الديمقراطية واسعة، فضفاضة، تعترف بحق الشعوب فى ان تنعم تحت مظلتها بنعمة الحرية، وتمرح ما شاء لها المرح، بشرط ألا تتكلم، ولا تتنفس، ولا تنتقد، ولا تطالب، ولا تجتمع، ولا تعترف بخطأ، ولا تتحدث عن حقوق او واجبات، ولا عن فساد وهموم ومشاكل، كل ما عليها ان تصفق، وتهلل، وتطبل باسلوب، ولا يهم ان وصلت الأمور الى ما يستخف بعقول الناس .

مسكينة حقاً الديمقراطية حين يجرى حشرها فى دائرة الغنيمة، أو العقلية الفئوية، أو الطائفية، او حين تفصل على أهواء البعض، او حين تُحوّل تحت مظلتها حقوق الناس الى هبات ومكرمات، او حين تختزل فى مجالس برلمانية صورية لا صلاحيات لها، ولا هيبة، مجالس تحولت الى منابر للإشادات، والمجاملات، وارسال التهانى والتبريكات فى المناسبات، وفى حول كل شأن ومجال وميدان، وانتخابات لا تقصى المعوّج ان لم تأتى بما هو اكثر اعوجاجاً، وتوظف فى ما لا يعطي المثل الصالح للنبت الديمقراطي.

مسكينة الديمقراطية حين نجد من يزعمون انهم مكلفون بتأسيسها او صناعتها او دعمها او ترسيخها وهم يجعلونها وكأنها سباق الى الهاوية، يعملون على اغتيالها ويجعلونها جزءاً من مشاكل جديدة وليس جزءاً من حل مشاكل قائمة، وبوجه عام يفرغون اي شحنة ديمقراطية من كل مضمون ويجعلون الديمقراطية لعبة عبثية، والمطالبة بها كلام فارغ.

حتى الكيانات الأهلية بكل تشكيلاتها من احزاب وجمعيات ونقابات واتحادات، والتى يفترض انها قائمة على أسس ديمقراطية، أو تطالب بالديمقراطية وتحمل لواءها فى كل محفل شوهت مساراتها ، الى درجة اصبحنا نجد ان الديمقراطية فى بعضها او كثير منها مفقودة، او مشوهة، او معاقة، وبات التضييق مصير من يعترض داخل اي منها على أي قرار او سلوك او تصرف، او خلل او خلاف او اتجاه او توجه ، تتصارع فى هذه الكيانات الاتجاهات والتوجهات والمصالح، وبعضها وجدناه بقدرة قادر وهو يتحول الى كيانات اشخاص يقوم حولهم كل شئ، اشخاص ذو عقليات معيقة لم تتغير الا فى مستوى الشعارات، أسوأهم اولئك الذين ارادوا جعل غيرهم غير قادرين على الاعتراض أو المناقشة، او حتى ابداء الرأي، ومن يفعل ذلك فهو "مشكلجي" او مشاغب او مدسوس، او ثرثار، او انسان يجب ازاحته باعتباره يعيق العمل الديمقراطي فى هذه الكيانات.

أزمتنا تنبع من أننا ننشد الديمقراطية، ولكن غير مستعدين لدفع مهرها، فهى غالية المهر، ثقيلة التكاليف، وفى هذا السياق يمكن ان نتوقف امام بيان المنبر التقدمى بمناسبة اليوم العالمى للديمقراطية فقد عبر عن هذه الحقيقة حين اشار الى عدم امكانية تطور اي مجتمعات، وتقدم اي شعوب فى بلدان صودرت فيها الديمقراطية وغابت عنها العدالة الاجتماعية وسادت محلها اجواء من القمع والاستبداد والقمع، مع التشديد على اهمية نشر القيم والمبادئ الديمقراطية التى تؤسس لوعي سياسي يعزز ثقافة حرية الرأي والتعبير واحترام حقوق الانسان وتأسيس المنظمات النقابية والمهنية وبناء الدولة الحديثة.

اضافة الى ذلك، ثمة جانب آخر مهم وهو عدم امكانية الحديث عن الديمقراطية السياسية دون الحديث عن الديمقراطية الاجتماعية، من منطلق ان تراجع العيش اللائق والعيش الكريم، ونوعية التعليم والصحة والسكن وصحة حماية ودعم مؤسسات الأعمال الصغيرة والمتوسطة والتخلي عن بحرنة الوظائف وزيادة اعداد العاطلين والضرائب غير العادلة وغير ذلك من الأمور لايعزز الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، وبالتالى يصعب ترّسخ الديمقراطية، وهذه القناعة المنطقية وما جاء فى البيان بمجمله يجعلنا نخلص الى ان الديمقراطية هى حقوق اساسية لاغنى عنها، وهى دائمة ومستمرة، وتعنى ضمن ما تعنيه القضاء على التمييز، وان المواطنون متساوون، وانه لا فضل لأي كان على احد الا بما يترجم مواطنيته وانسانيته الكاملة.

ان من بين اخطر ما تواجهه قضايا الديمقراطية والاصلاح والتغيير هو تلك النوعية ممن ينادون بالديمقراطية ولكنهم يفهمونها على طريقتهم ومقاس مصالحهم ، ويتعاملون معها من منطلق الغنيمة، وعقلية الولاءات الضيقة، والغريب ان البعض ممن يحملون شعاراتها ويدعون لها ويطالبون بها ويحملون راية التغيير والاصلاح، يتجاهلون او يجهلون ان اقتلاعهم اول ما يتطلبه اي اصلاح او تغيير حقيقى منشود وملموس على ارض الواقع .

إننا بالفعل امام فجيعة الناس فى الديمقراطية الحقة التى ينشدونها فلا يجدونها، وفجيعة الديمقراطية فى اناس أخذتهم المظاهر، ضاعوا و أضاعوا الطريق المؤدى لها ، فقط نتكلم عن الديمقراطية ولا نمارسها، قد نختلف على تفاصيلها ومعانيها ومقاصدها ومقتضياتها، وفى الوقت ذاته نعيق استزراع بذورها ، ونظل نطالب بها، ولا نعلم هل يمكن ان تكون الديمقراطية علاجاً لأزماتنا وهى نفسها فى أزمة بفعل فاعل او فاعلين يستثقلون استحقاقها، ويجعلونها مرتهنة أو مغيبة عن الفعل و ضرباً من التمنى.

الخلاصة، الديمقراطية الحقة بكل تجلياتها، هذه هى الديمقراطية المطلوبة التى تلزمنا يقيناً وليس غيرها والتى يجب ألا تكون ورقة سياسية مؤجلة الدفع .

الارتقاء عن التقاليد

في الحياة العصرية الحديثة، تتأكد المكانة والأهميّة للفرد، وللدور المهمّ الذي يقوم به في عملية الإبداع والتطوير الإنساني. وعندما نبحث عن التغييرات النوعية في مجالات الحياة المختلفة، نجد أنَّ الذين ساهموا بها هم أفراد، ومن خلال الإخلاص والإلهام، لتقديم الفائدة والخير لمجتمعاتهم ودولهم.

جعفر محمد

إنَّ الدور الاستثنائي الذي يقوم به الفرد، لا يأتي من الفراغ، بل من الأسباب والبيئات، التي تكون مليئةً بعوامل التحفيز والتفاؤل والإستنهاض، تلك التي تساهم بوجود الإبداع والنبوغ لديه، ولا ننسى أيضاً الحرية ومناخها، التي تجعل الفكر منطلقاً وجريئاً.

أعتقد إننا عندما نعالج موضوعاً فكرياً مثل موضوع الحريات والتقدُّم، تتوضّح أمامنا القيود والتقاليد، التي يحميها الجمود والتخلُّف، وتراجع الوعي والتفكير في المجتمعات. وعند الحديث عن المجتمع، نبدأ بالتأكيد بالمحيط الأقرب لنا، أي مجتمعنا البحريني الذي لا زال حديثاً في عملية الإرتقاء والتقدُّم. لذالك أرى أنَّ المسؤولية علينا كبيرةٌ جداً، في تأصيل هذه المفاهيم الحضارية، المتمثلة في التقدُّم والحرية.

إنَّ مفهوم الإرتقاء عن التقاليد من أهمّ المفاهيم في هذه الحياة، فنحن لا نتصوّر الحياة من دونه، وغيابه أو تراجعه، هو غيابٌ وتراجعٌ إلى الحياة نفسها. ونحن عندما نرى الجمود المتزايد في حياتنا، نتسائل: أين طبيعة الحياة من حياتنا ؟ كيف يتشابه الأمس واليوم والغد ؟ هل تعطل التفكير ورضينا بالتراجع والخضوع ؟ نعم، هي أسئلة صعبة نوعاً ما، ولكن اجابتها تكمن في داخلنا، عن الإنسان والوجود والمسؤولية، عن الفرد ومكانته الغائبة، التي تعكس مكانة المجتمع، بدوره ومسؤوليته.

في المجتمعات العربية، وتحت تأثير التخدير الفكري وتراجع الحريات، تزداد ظاهرة التقديس للعادات والتقاليد، والتي بدورها تنافي مفهوم الإرتقاء، وتؤدي بنا نحو التراجع والانهزام. وقد كتب الكتاب الأوائل، النهضويين منهم، عن هذه الظاهرة، قبل قرن من الزمان تقريباً، وما زالت هذه الظاهرة موجودة في الثقافة العربية؟ وهذا يوصلنا إلى التعليل والفهم الصحيح لها، وهي أنها متجذرة، وحلولها الصحيحة يجب أنْ تكون جذرية أيضاً.

أعتقد أنَّ فكرة الإرتقاء، من الأفكار الاستثنائية والغائبة عن حياتنا، فهي تناقش الموروث الثقافي الخاطئ في العقل الاجتماعي والوعي العام، الذي يستمدُّ معتقداته من البيئة والجماعة. وكلما كانت هذه البيئة تتراجع وتتخلَّف عن مكانة الفرد وحريته الشخصية، ازداد الجمود والتقليد فيها، وهو بالطبع يعكس أحوال المجتمع والناس، وصولاً إلى الدولة والمؤسسات، ذالك الذي لا يليق بمبدأ التقدُّم.

إنَّ العصر الذي نعيش فيه اليوم مليئٌ بالتحدّيات، الحقيقية والصعبة، ولكنه مليئٌ أيضاً بالآمال الكبيرة. وتزداد الفرص في التقدُّم والإنجاز عبر ثقافة الوعي والإدراك، لمسؤولية الفرد والإنسان في هذه الحياة. ومنطق التقاليد السائدة، لا يؤدي إلى النتائج المطلوبة والضرورية أبداً، فهو يطالبنا بالخضوع والتسليم وإلغاء الدور الحضاري للفرد في تحسين هذه الحياة وتقديرها. فهذا المفهوم الفلسفي، الذي يتبنَّاه الإنسان المتمدّن والعصري، أراه واحداً من المعاني الوجودية للإنسان في الحياة.

في الختام، وتأكيداً على التأثير والدلالة الثقافية بين المجتمعات العربية، أتوقف تأملاً عند تسمية العالم العربيّ، التي أراها مناسبةً لموضوعنا هذا، والذي يعاني هو الآخر من محنة التقاليد والتراجع، فتكون التسمية حقيقية، في سياق الحضارة والتقدُّم العالمي، تلك التي توضّح المفارقة التي وصل لها هذا العالم العربيّ. فهو حقاً عالمٌ لوحده، مختلفٌ عن بقية الأمم، رافضاً التلاقح مع أسباب الخير والهناء، لسعادة الإنسان واحترام الحياة في التطوّر والإرتقاء.

إنَّ مبدأ الإرتقاء عن التقاليد من المبادئ المهمة في حياتنا، فهو خير مثال على سيرة الإنسان في هذه الأرض. هذه السيرة التي يفهمها جميع البشر في كل مكان. ولا ننسى أيضاً، أنَّ هذا المبدأ، هو البيئة الحقيقية لمشروع النهضة المنشود من قبل البلدان والشعوب.

إنَّ هذه الأفكار والأطروحات، نعتقد بأهميتها وجدارتها للحياة، والثابت الوحيد والدائم منها هو فكرة التغيير، هذه الفكرة النابضة بالأمل والعمل، التي يعمل من أجلها الإنسان في هذا العالم، ذالك الذي يشعر بهذه المعاني الكبيرة للوجود والحياة، تعزيزاً للطموح الإنساني الواضح، الذي يتمثل في الخير العام.

قضايا وآراء

المنبر التقدمي

استطاع المنبر التقدمي تجسيد النسيج الاجتماعي العام لشعب يتوق لمجتمع متماسك بروح ديمقراطية، فقد أثبت بأنه ميدان لكل من يتبنى وجهة نظر تتماشى والروح الوطنية الساعية لطرح رؤى تنسجم ومتطلعات شعبنا، في سبيل تنوّر وتقدّم وتطوير قدراته الثقافية والتوعية. اليوم أثبت منبرنا بانه ساحة واسعة لكل من يحب شعبه ووطنه، ورغم الضغوط استطاع «التقدمي» أن يدخل قبة البرلمان بكتلة (تقدّم). ورغم أنه نقطة في بحر، إلا أنه صار بصيص أمل لمعاناة شعب يرزح تحت خط الفقر.

النسيج الوطني الواحد

أحيانا نرصد الأوضاع ونتلمس مواقع الوجع ولكن عندما نشرع في وضع الحلول يشرع البعض في خطوات لا تنسجم مع المعطيات الراهنة ولا بآليات تخدم الأحداث بمرونة وتكتيك. يجب أن نتفهم بأن كل خطواتنا النضالية ومسيرة أعمالنا هي من ضمن صراعنا الطبقي. ان النضال في سبيل انتزاع حقوقنا والدفاع عن مكتسباتنا، حفاظاً على نسيجنا الاجتماعي ونهضته في سبيل التقدم والازدهار والنماء والتطور البناء. وكل هذا في اطار الصراع الطبقي. كما أننا لا نلجأ في صراعنا الى التسييّس في المؤسسات المدنية والعمالية حفاظا على الترابط الاجتماعي.

لن نكل ولن نمل

لن نكل ولن نمل، كوننا أصحاب حق، حيث اننا من شيد هذا الوطن، فقد عملنا فوق طاقتنا، والآن بعد التقاعد أصبحنا نعاني شحة في المعيشة، حيث همشنا، ولم تؤخذ خطوات جادة لتدليل مصاعب الحياة فإننا اليوم نطالب المؤسسات والوزارات المعنية بهذه الإجراءات بتفعيل وتعديل القوانين التي لا تراعي قواعد الاحترام والاستثناءات بالنظر الينا كفئة تعاني من ضنك الحياة، حيث الجدية في رفع المستوى المعيشي، حيث نعيش التدني في الرواتب كما نعيش حياة مأزومة باستمرار ونتعرض للابتزاز لعدم جدية الرقابة.

أننا نعاني من اضطهاد السوق التي أرهقت وأثقلت كاهلنا بالديون في الوقت الذي ما زال الراتب فيها ثابتاً، وتزداد فيه الاقطتاعات الضرائبية تحت حجج لا مبرر لها، وخصوصا اقتطاع (ضريبة القيمة المضافة).

العجيب أن كل قانون يفرض لا يراعي وضعنا كمتقاعدين، وبالتالي يصبح قانوناً لا يخدم معيشة مواطن ينتظر قوانين لا تضع حلاً للتدهور المستمر في أحوالنا المعيشية.

التخوف من السياسة

هناك من يتخوف من الحلول السياسية أثناء حل مشكلة ما مرتبطة بالسياسة معتقداً ان السياسة شيء خطير. فحين نريد حل مشكلة ما يجب أن نقيسها من جميع اشكالاتها تتعقد الأمور وتكبر، وأحيانا تبقى «مكانك راوح»، لأن الحل في الجانب السياسي مهمش، ما يعطل بقية الآليات، ويجعلها غير مكتملة النصاب، فيما المطلوب لحل المشاكل التركيز على كل الجوانب التي تؤسس للحلول العادلة والمنصفة.

قاسم الحلال

علاقة عمالية لم تنس

عندما كنت أعمل طباخاً في أحد فنادق خمس نجوم، كنت أهتم بمساعدي البحريني لكي اجعله يفهم فن الطهي، وكان دائماً مستعداً، فقد كان يرتاح لأسلوبي في تعليمه. ويفضل دوما العمل معي على العمل مع الأجانب الذين همهم المساعدة فقط. بعدها تقاعدت ونسيته. الذي أعرفه أنه كان يحب زميلته الفلبينية التي تعمل مقدمة طعام للزبائن. مرّت السنين وبالصدفة التقيه في العيادة يصطحب ابنه. حينها لم أعرفه بعد مرور كل هذه المدة. فرحب بي بحرارة وهو فرحاً بلقائي. فقال لي لقد تزوجت من الفلبينية وهذا ابني. اتعرف ما اسميته؟ اسميته قاسم تيمناً باسمك. أنا الان طباخ chef بفضل تعليمك. وبعجلة قال لي أريد رقم هاتفك. لم اصدق أنى رأيتك. يتكلم بفرح ويخرج هاتفه ليسجل رقم هاتفي. هذا الشخص تعلق بي أيام العمل لأنني كنت زميلاً وصديقاً له ولثقته بي. قال يوما أريد أن اتزوج الفلبينية لكن أخاف أن أمي لا تقبل. فطلبني أن أذهب معه للتحدث مع أمه. وفعلا ذهبت وكلمتها، وشرحت لها أخلاق ابنها في العمل، واستجابت لكلامي، ففرح فرحاً شديداً. لقد سررت جدا بلقائي مع هذا الشاب الطيب حسن النيّات. لقد عملت معه خيراً وأثمر هذا الخير خيراً دون أن أعرف لولا لقائي به.

مثالية (جرباء)

المثالية (الجرباء).. المثالية وهي المثل الذي يسمو الانسان بتميّزه في إبداع ما، حيث يلجأ البعض للفوز بهذا اللقب. لكن هناك من يبرز في إنجاز عما لا يعتقد أنه مثالياً وبطلاً فيه، بينما هو برز في إطار ضيق أو حتى صغير، مثلاً في إطار مذهبي أو قومي، فيبقى هذا التميّز في اطار محدود التاثير، فالمثالية مبدأ لا يعزز نصرها الا العمل الخلاق المبني على العمل العام الذي يؤسس لمفهوم جماعي ليس محصوراً على من يملك زمام الأمور.

هناك من يحاول أن يبعد الاخر من المنافسة لأن هناك الكثيرممن لديهم استعداد للتقدم بوتائر متطورة لو فسح لهم الآخرون المجال، لا التضييق عليهم وابعادهم عن الطريق الذي يكفل لهم الإرتقاء على جميع الأصعدة.

ليس فخراً أن تعزل انساناً تحت أي مبرر لترتقي. حتى لو كان ارتقائك بجدارة، فإنك تبقى معاباً لأنك أبعدت الآخر عن طريق العمل وأخفيت صورته لتلمع بريق صورتك وأبرزت عملك لتخفي عمله الخلاق الهادف. نتمنى أن يكون هناك طريقاً سالكاً. نرى اليوم الكثير من الذين يحتاجون لدعم معنوي وثقافي، إذا أردنا ان نوسع دائرة الوعي والتقدم نحو شريحة مثقفة واعية خلاقة.

إشكالية الهويّة في ظل الهويّات القاتلة!

في سبيل الحديث عن الهويات لابد أن نتوقف عند أسئلة لا حصر لها. ما الهوية؟ ما مدى حاجة الإنسان لها؟ ما هي حدود الهوية؟ وهل يمكن أن تتحول الى هويات قاتلة؟

يقول أمين معلوف في كتابه الهويات القاتلة: «لقد علمتني الكتابة أن أرتاب بالكلمات، فأكثرها شفافية غالباً مايكون أكثرها خيانةً. وإحدى هذه الكلمات المضللة هي كلمة "هوية" تحديداً. فنحن جميعاً نعتقد أننا ندرك دلالتها، ونستمر في الوثوق بها وإن راحت تعني نقيضها بصورة خبيثة... إن هويتي هي التي تعني أنني لا أشبه أي شخص آخر»(ص١٩-٢٠)، على غرار بطاقة الهوية المدنية فهي تميز كل انسان عن غيره بصفات تتسم بها شخصية الفرد نفسه. يصعب تحديد معنىً واضحاً لما ترمز له الهوية، هي هوية وهويات، انتماء وانتماءات، مابين المفرد والجمع أعني الفرد والجماعة تقبع الإشكالية التي حاول الكثير من المفكرين معالجتها.

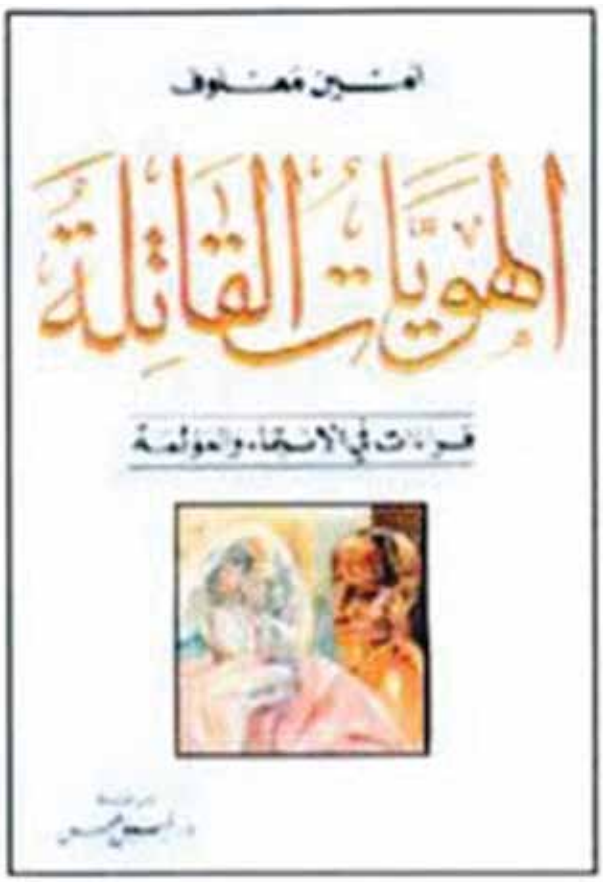

حسين آل الربيع

في الواقع أننا نحاول جاهدين أن نقنع أنفسنا ونقنع الآخرين بأن ينظروا إلينا وفق الكيفية التي نريد ومن خلال هويتنا الفردية التي تميزنا عن الآخر، إلا أن التصنيفات الكبرى أقوى من أن نستطيع تجاوزها ولو حاولنا التغاضي عنها و لأن «حريتنا في اختيار هوياتنا الشخصية يمكن أحياناً أن تكون مقيدة بدرجة غير عادية في عيون الآخر مهما كانت نظرتنا لأنفسنا" (الهوية والعنف- أمارتيا صن ص22)، فما دمت تنتمي أو ولدت ضمن جماعة ما فستنسحب عليك جميع سلوكيات وأقوال تلك المجموعة حتى وإن كنت لاتنتفق مع أغلب متبنياتها أو كنت لا تنتمي إليها فكرياً.

هذه نظرة من هم خارج الجماعة، أما داخل الجماعة فسينظر إليك على أنك واحد من ضمن أفراد الجماعة المخلصين لأفكارها وأن جميع الإحتمالات الأخرى غير واردة كأن يكون لك تفكير نقدي حُر أو لا تعتقد أغلب المسلمات. تحدد الشعوب الأخرى وفق هوياتهم ويكون ذلك التصنيف في غالبه بدائياً غريزي لايخلو من عصبية وعنصرية مبطّنة، وهذا يحدث حتى عند الشعوب الأكثر تطوراً وتمدناً، كأن تصنف الجماعات وفق انتمائها الديني أو المناطقي أو العرقي، وعلى هذا النحو قد تتحدد هويات الأمم بانتماء واحد يكون محدد له سلفاً.

بعد أحداث 11 سبتمر 2001 التي هزت الولايات المتحدة والعالم، سعى الأمريكيون وفق برنامج ممنهج كان صلموائيل هنتنغتون قد عمل عليه، جرى من خلاله تصنيف الأمم تصنيفاً لا يخلو من الإختزل والعنصرية مبنياً على فكرة صراع الحضارات، فمثلاً جرى تصنيف الهند على أنها هندوسية دون الأخذ بالإعتبار ذلك التنوع الهائل الذي يشكل حضارة الهند، إنها بلد الأديان ومختلف الثقافات والتاريخ الطويل، وجرى تصنيف الشرق الأوسط على أنه إسلامي دون الأخذ بالإعتبار التنوع في الأديان والأقليات الأخرى، يغفل هذا التصنيف الإعتباطي أن الهند وحدها تضم 145 مليون مسلم، هذا التعداد أكثر بكثير من أي بلد آخر، أكثر عدداً حتى من مسلمي المنطقة التي صنفت على أنها إسلامية، كذلك يصعب أن نتجاوز الأدوار الكبيرة للمسلمين في تاريخ الهند الى جانت الطوائف الأخرى.

كان الإستطراد السابق عن تصنيف الهويات الكبرى للأمم واختصارها في انتماء أحادي أو ثنائي تنظر لنا الأمم الأخرى وننظر لها وفقه. نعود لمناقشة الموضوع الأساسي الذي يتعلق بالهوية على مستوى الأفراد والجاعات. يتبين من خلال تجارب الأمم أن الهوية بالمجمل عبارة عن طيف متعدد من الإنتماءات: مكانية، اجتماعية، فكرية تُشكل منطلقات الفرد وميولاته، هذا التعدد في الإنتماءات يقرّب الفرد من ذاته أما إذا اختزل هذا التنوع إلى انتماء واحد يتحتم على الفرد أن يتبناه ويدافع عنه بقوّة، بل ويفرضه حتى على الآخرين ويقيّم الآخر من خلال هذا الإنتماء، وتتحول الهويات إذا ما طبقت بهذا الشكل إلى هويات قاتلة لا تنتج سوى مجتمعات استبدادية وأجيال مستلبة.

الهوية أقرب الى مادة الطين المرن يشكّل الفرد تحت ضغط المجتمع والجماعة، إما أن تضيق جداً وتتخذ شكل انتماء واحد لتصبح مادة صلبة متحجرة، أو أن تتسع لتشمل انتماءات عديدة تترتب تصاعدياً عند الفرد نفسه من أقوى الإنتماءات تأثيراً الى أقلها وأنها جميعها متغيرة بتغير الظروف الخارجية السياسية والإجتماعية والنفسية والفكرية، تكون

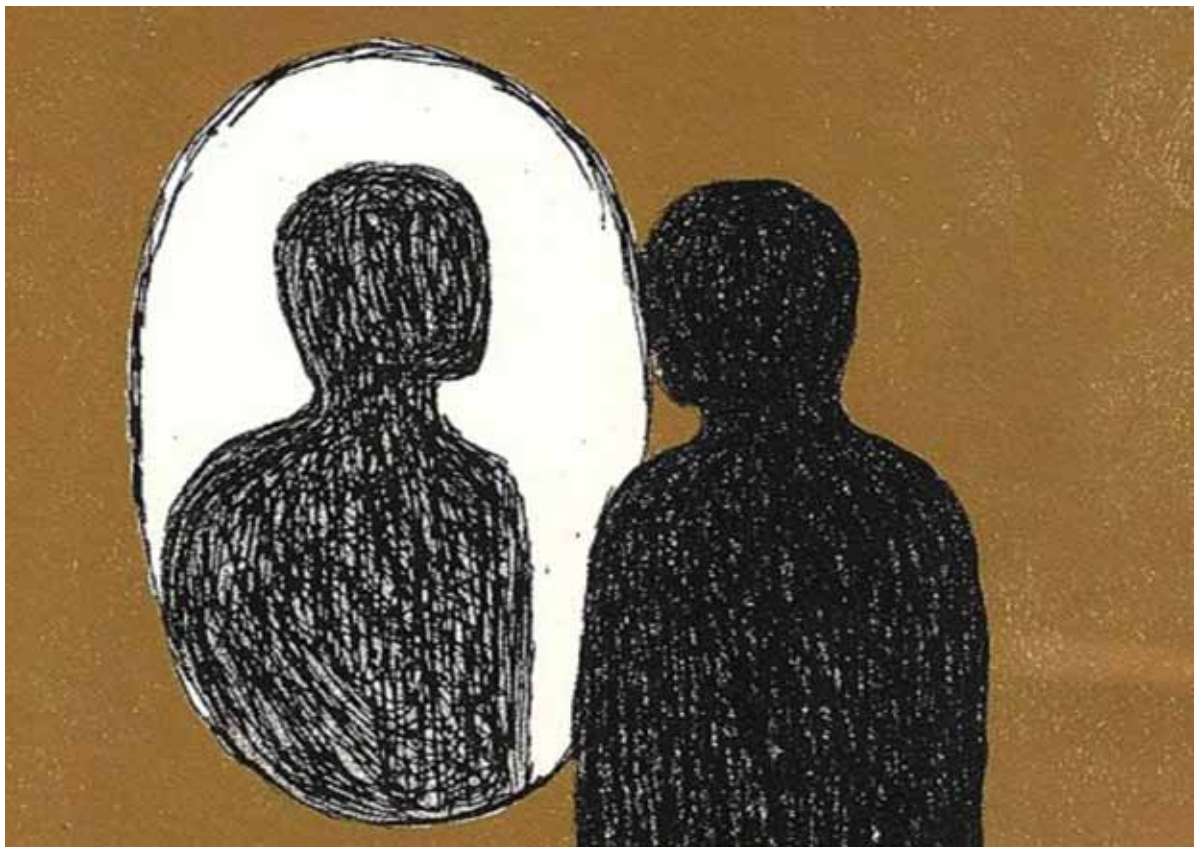

الهوية أشبه بالطين المرن الذي يمكن أن يتشكل بأشكال عديدة متماهياً مع المتغيرات دون أن يفقد الطين ماهيّته كمادة طينية رغم تعدد أشكاله ومظهره الخارجي. تتألف هوية الفرد من عدة عناصر لا تقتصر على الإنتماءات الكبرى الواردة في السجلات الرسمية كالإنتماء الى مذهب ديني وجنسية أو حتى جنسيتين، ومجموعة اثنية ولغوية وأسرة قد تكبر أو تصغر، ومهنة ومؤسسة ومحيط اجتماعي معين، والقائمة تطول، فقد يشعر الفرد بانتماء قوي الى إقليم أو قرية أوعشيرة وفريق رياضي و جماعة مهنية وشلة أصدقاء ونقابة وشركة وحزب أو جمعية...الخ، سلة الإنتماءات هذه هي ما قد يشكل هوية الفرد دون أن تنتقص من جوهر الهوية شيئاً.

يعمل التطرف العقائدي (أياً كان اتجاهه) على اختزال هوية الفرد في هوية الجماعة، ويتحول الفرد الى أداة تنذر نفسها إلى الدفاع عن الجماعة أو الحزب، وهنا يحصل الخلط مابين الهوية والإيديولوجيا، ومن هذا المنطلق يمكن العمل على تفكيك سيكولوجيا الجماهير أو عقلية القطيع حيث يدجّن الفرد بكل طاقاته من أجل جماعته العقائدية في الخير والشر معاً! فيكون الخط الفاصل بين الخير والشر ضبابياً يجاوز الخير فيه حدود الشر ويدخل الشر على الخير، ويتم تبرير أعمال الأفراد ومباركتها على القدر الذي تصب فيه لمصلحة الجماعة أو المجموعة.

للعولمة الغربية أيضاً دورٌ سلبي لايقل عن التطرف العقائدي، حين تحاول العولمة أن تفرغ الفرد من جميع انتماءاته التي تشكل نواة تكوينه وتنظر إليها بازدراء، الأمر الذي يضطر الفرد لأن يتخلى عن هويته وما سيترتب على ذلك من اغتراب، أو أن يدافع عنها بقوة وبشكل راديكالي يتحول الى عنف يغذيه الخطاب المتزمت. ومن جهة أخرى من غير الإنصاف أن لا نذكر الجوانب الإيجابية العديدة للعولمة ولعل أبرزها ثورة الإتصالات التي قربت المجمعات من بعضها حتى أصبح العالم قرية صغيرة قللت الفوارق بين المجتمعات والثقافات مما ساهم في نشر وعي أكثر تحرراً من قيود البيئة المحيطة، صارت المجتمعات الحديثة من القرب الى درجة أنها باتت ترفض وتتقزز من أشكال العبودية واللامساواة وتفوّق الرجل على المرأه وتراتبية الأعراق وهي أمورٌ كانت عادية في السابق بل أن بعض الثقافات التي كانت تحثّ عليها اضطرت اليوم تحت مطارق الحداثة إلى تحديث جزء من منظومتها الفكرية.

أصبح الوضع اليوم أكثر تعقيداً. تفككت الإنتماءات والمرجعيات إلى حد السيولة، وصار قلق الهوية ينتاب الفرد والجماعة لأن الإنسان بطبعه كائنٌ اجتماعي يزدهر داخل مجموعة من عدّة أفراد أو قبيلة أو جماعة إثنية دينية أو عرقية. اليوم أصبح مفهوم اللامنتمي أكثر رواجاً، أعتقد أن اللامنتمي هو الفرد المتعدد والمتغير الإنتماءات وإن صح تسميته بالفرد السائل! الفرد الذي لا يتبنى عقائد نهائية صارمة مع كل هذا فهو لا يتخلى عن هويته التي تشكل ذاته، "وإذا كان يجب تجاوز الإنتماء الى قبيلة كونية، فذلك لن يكون إلا على نحو انتماء أشمل يحمل رؤية إنسانية أكثر اكتمالاً" (الهويات القاتلة- معلوف ص116)، يبقى من المهم احتفاظ الفرد على لغته الإنتمائية ومن حق كل إنسان أن يستعمل لغته دون حرج أو تردد وقد تساهم التكنولوجيا الحديثة عن طريق انظمة الذكاء الإصطناعي بالتعرف والتحدث مع اللغات الأخرى باللغة الأم نفسها. اللغة هي العامل الأكبر في هوية الفرد وقد اختصرها محمود درويش في عبارة واحدة مكثّفة شديدة الدلالة "أنا لغتي".

وفي ما يتعلق بالإنتماءات الدينية والتي يشعر المؤمنون بالقلق عليها من تبعات تغيرات العصر الحديث، يقول معلوف: «فعندما أتحدث عن تجاوز الإنتماء الديني لا أعني أنه يجب تجاوز الدين نفسه. فلا العلم ولا أي عقيدة ولا أي نظام سياسي – في اعتقادي – سوف يرمي بالدين في غياهب التاريخ، وكلما تطوّر العلم وجب على الإنسان أن يتساءل عن غايته، سوف يتلاشى إله "الكيف؟" يوماً ما، ولكن إله "اللماذا؟" لن يموت قط...وأضيف على الفور أن التعبير عن الحاجة الروحانية –من وجهة نظري– لا يجب أن يكون إلزامياً عبر الإنتماء الى جماعة من المؤمنين" (الهويات القاتلة ص114)، والذي قد يبقي الأفراد على الإنتماء لجماعة دينية هو مدى تجاوب ومرونة قراءتها الدينية مع الواقع.

من الخطأ أن تتحول الإنتماءات الطائفية الى هويات بديلة عوضاً عن إدراجها في هوية وطنية يعاد تحديدها وتوسيعها. ذلك يحتاج إلى جو من الرفاه والإستقرار السياسي وهامش من الحرية مما يتيح للأفراد التفكير بحرية، الأمر الذي قد يساهم في تكوين أراء متعددة ومختلفة. الضغط على الهويات العقائدية والتضييق عليها قد يتسبب في تمسكهم بهوياتهم أكثر، حينها يبدأ الإعتقاد بأن كيانهم الوجودي مهدد، فيكونون أكثر إصراراً على الإنغلاق والتزمّت حفاظاً على هويتهم الجماعية وتتحول الى بُنية أيديولوجية يصعب تفكيكها. "إن الأنظمة التي تحظر كل حياة ديموقراطية تساعد في الواقع على تعزيز الإنتماءات التقليدية. وعندما تسود الريبة في أحد المجتمعات، تكون الأشكال الأخيرة من التضامن هي الأعمق والأقوى، وعندما تخنق كل الحريات السياسية أو النقابية أو الأكاديمية، تصبح أماكن العبادة الأماكن الوحيدة التي يمكن التجمع فيها والمناقشة والشعور بالتضامن في المحن والشدائد" (الهويات القاتلة- معلوف ص172)

يحلم معلوف ويتمنى بصدق كما كلنا نتمنى أن تعود شعوب العالم وتسلك الدرب الذي أبصرت فيه النور لأول مرة وسعت من خلاله نحو التقدم، وأن تترك شعوب منطقتنا وراءها زمن القبائل وزمن الحروب الدينية وزمن الهويات القاتلة من أجل بناء حضارة عالمية مشتركة، "يجب العمل بحيث لا يشعر أي إنسان بأنه مستبعد عن الحضارة المشتركة التي تبصر النور، وأن يجد كل إنسان فيها لغته الإنتمائية وبعض رموز ثقافته الخاصة، وأن يتمكن كل إنسان من التماهي، ولو قليلاً، مع ما يبرز في العالم الذي يحيط به، بدل الإلتجاء الى ماض يعتبره مثالياً...الشعور بالإنتماء أيضاً الى المغامرة البشرية» (الهويات القاتلة- معلوف ص190) إنه حلمٌ طوباوي صعب التحقق لكنه ممكن..

كيف بدأتُ بالدخول إلى عالم أدب الطفل؟

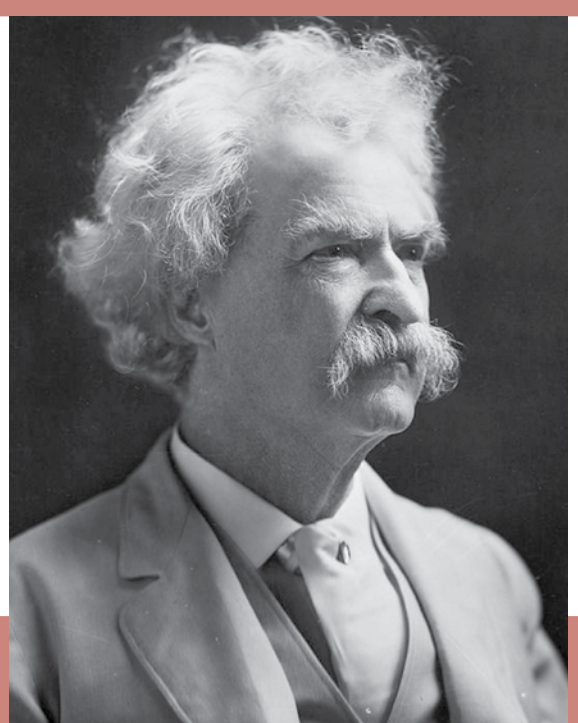

نحن أمام إشكالية عويصة حين نتحدث عن أدب الطفل، إنه «أدب سهل» وذو جودة متواضعة، وفي الوقت نفسه هو الأدب الأكثر صعوبة من حيث إيجاد الموضوعات وطريقة طرحها وصيّاغتها. ولأنّه يتطلّب أفكارا ولغة مبسطين، فإنّه في الغالب لا يحظى باهتمام الجمهور النّقدي والأكاديمي. طبعا من المحزن أن أدب الطفل وفق هذه المعطيات يعتبر أدبا غير مكتمل، وحتى لو كرّس البعض أبحاثه للدفاع عنه إلا أنه إلاّ أنه أخفق في أهم مهمة وُجد من أجلها وهي شدّ اهتمام الطفل.

في عودة إلى زمن مضى حين كنت طفلة سأذكر دائما أن قصص الأطفال المترجمة، وقصصا أخرى أُخِذت من التراث وتم تبسيطها، كانت أكثر سحرا وإغواء لي مقارنة مع غيرها. ومع هذا فقد التهمت كمًّا هائلا من الكتب، ولم أشعر يوما أني توقفت عن عشق كتب الأطفال، رغم قراءتي لطه حسين، والمنفلوطي، وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس ونجيب محفوظ وغيرهم باكرا.

بالنسبة لي كان الانتقال من مرحلة إلى مرحلة عمرية أكبر أمرا لا أكاد أشعر به، والصّراحة تقال، لم أشعر أبدا أني غادرت طفولتي، فأنا كائن مركّب ومعقّد يحضن جميع الأعمار، ولست أكذب إن قلت إني أحيانا أشعرإني شخت، وأني بعمر النخلة حينا وبعمر شجر الزيتون حينا آخر، فيما في ظروف فجائية ينتابني العجز تماما فأشعر أني طفلة ولا أريد سوى حضن أمي.

كثيرا ما اختبرت طفولتي المختبئة بين ضلوعي مع أطفال العائلة، فأصاب بصدمة أعبّر عنها بتهويل أقلّ ممّا أشعر به، فأطفال هذا الزمن "أطفال بالغون"، ما داموا خبراء في التكنولوجيا، ويقرأون بالإنجليزية قصصا لا تشبه قصصنا، بل يحكمون على قصص الأطفال المكتوبة باللغة العربية أنها أقلّ نضجا، ويخاطبون الكبار بلغة لم نكن نعرفها أبدا.

طيب! هل هذا جيد أم سيء؟

لا أدري صراحة إن كان هذا الأمر جيدا أم سيئا، فعن

د.بروين حبيب

نفسي أعيش حيرتي مضاعفة مع ابنة أختي، التي اعتبرها ابنتي، فهي طفلة حين تريد، ثم فجأة تأخذ دور أمي، فتنهال عليّ بنظريات ونصائح وكأنها خرّيجة علم نفس. أذكر في عمرها أن أقصى اهتماماتي التفوّق في المدرسة، وألا تفوتني مسلسلات الكارتون خاصّتي. حتى ألعابي اختلفت عن غيري، لقد أحببت أداء أدوار مسرحية مختلفة، ابتكرت مسرحياتي وأدواري، ومنحت نفسي دورا قياديا. منذ تلك الأيام وابتكار القصص يسكنني، حتى حين أكتب قصائدي تتسلل التفاصيل القصصية إلى نصي، بلمسات تشبه خفق أجنحة الفراشات.

أعترف أن الأجيال الجديدة مُحبِطة، فكثيرا ما اقتنيت قصصا لأطفال العائلة، لأكتشف فيما بعد أني اقتنيتها لنفسي، كون ذائقتهم اختلفت تماما. لكنّ إعجابي بكتب الأطفال وخاصة برسوماتها لم يتوقف أبدا، فهو شغف أمارسه بعيدا عن الأعين. في معارض الكتب أقف مطوّلاَ عند دور النّشر المختصة في أدب الطفل، أتأمّلها بحب وأقرأ بعضها، وكلّما تعثّرت بكتب قديمة كتلك التي زيّنت طفولتي ابتهج من أعماق قلبي، بل أحيانا أحضنها كمن التقى صديقا قديما من الغوالي.

منذ أكثر من سنتين قرّرت أن أنشر نصا من هذه النصوص التي تسكن رأسي، أردت أن أخرجه للعلن حتى لا يبقى معتقلا في جمجمتي محدثا ضوضاء لا تنتهي. وأعترف أني أقلقت أكثر من صديق لقراءته، وفي كل مرة أجري تعديلات عليه، دون أن أنسى مستشارتي و»قارئتي المُحبطة» ابنة أختي بروينة التي لا يعجبها العجب، وكدت أخضع لتأثيراتها وألغي مشروعي من أساسه، وهي تضع أمامي نماذج من قصص أجنبية بعيدة حتى عن القصص المترجمة التي قرأتها في طفولتي.

أي نعم كل شيء تطوّر، أو تغيّر، لكن بالتأكيد ليس بنفس النسبة. إذ لا أعتقد أن أبناء البلد الواحد يعيشون طفولة متشابهة، فالأطفال اليوم متأثرون جدا بالطبقية المقيتة بشكل مبالغ فيه، وأصبحوا يولدون ويكبرون في عوالم متوازية قد لا تلتقي أبدا، سواء في المدارس والجامعات أو حتى في قطاعات العمل.

تحضرني هنا قصة الأمير والفقير للكاتب الأمريكي مارك توين، وهي من القصص التي أثرت فيّ كثيرا، فهل يمكن

أن تؤثّر في أطفال اليوم؟
يبدو لي أحيانا أن الفروق النّظرية بين الناس أصبحت من البديهيات عند هؤلاء "الأطفال الفلاسفة" لكن الأكيد أن الطفل يبقى طفلا، وما يبهره اليوم، قد لن يبهره غدا. هي فقط مسألة تشبُّع وإدراك لعمق الأشياء.
لقد اتسع عالم الطفل، ولعلّ إرضاءه اليوم وإدهاشه قد يكمن في أخذه إلى الماضي، ما دام حاضره يبهرنا نحن ويثير مله. ووفق تجربتي الشخصية، وتجاربي العديدة مع الأطفال فالحيوانات التي تتكلّم تبقى كائنات محبوبة لدى أطفال أقل من خمس سنوات. بعد عمر أكبر بقليل يزيد شغف الطفل لاكتشاف عوالم تختلف عن عالمه الصغير، ثمة ارتباط وثيق بينه وبين الطبيعة، وهذا الشّغف مشترك بين الأطفال وكبار السن، ثم تأتي بعدها غرائب العالم وعجائبه، وأذكر أني لم أخيّب أمل أي طفل أهديته كتابا عن الحضارة الفرعونية ووالكنوز التي حوتها الأهرامات. في عمر المراهقة يتسع فضاء المخيلة فيحلّق عاليا، ولهذا ربما نجحت ج.ك.رولينغ في إقناع شريحة واسعة من الأطفال والناشئة والمراهقين بقراءة كتب ضخمة تفوق السبعمائة صفحة، وهو الأمر نفسه قامت به ستيفاني ماير بسلسلتها عن مصاصي الدماء الرومانسيين.
تختلف بداية الكتّاب عن بعضهم بعضا، ولكن في الغالب كل الذين ذهبوا للكتابة للأطفال بمختلف أعمارهم فعلوا ذلك لمتعة شخصية، أو بحثا عن طريقة لملء فجوة ما في الداخل بقيت خاوية.
لمن يتذكّر الكونتيسة دي سيغور وذهابها للكتابة في عمر الثامنة والخمسين سيفهم أنها استرجعت ما سرق من عمرها منها بسرد يوميات "صوفي المعذبة" أو "متاعب الطفلة صوفي" لأنها بكل بساطة هي نفسها صوفي، وهو اسمها الذي لم تستعمله قط في الكتابة، فقد تفرّغت لعائلتها خاصة حين كان أبناؤها الثمانية صغارا، وظلّت الكونتيسة التي حملت لقب زوجها إلى أن وجدت فرصة لتعيش حياة موازية على الورق، فكتبت روايات ناجحة للصغار والكبار، حيث قضت آخر عشرية من عمرها في الكتابة.
الآن حين أسأل كيف دخلت عالم أدب الطفل أجيب أني لم أخرج ابدا منه، فقد بقيت وفية له، إلى أن خطر ببالي أن أكتب ما يجول في خاطري من أفكار بدل سردها في حكايات شفهية في الجلسات الضيقة.
ثمة عالم اليوم ينحسر بكل جمالياته ليترك مساحته للتغيرات الجديدة، لا أريده أن ينقرض. في قصتي "جدي والواتس آب" الصادرة مؤخرا عن دار الساقي أنا التي أفتقد الرسائل الورقية، وساعي البريد، والشوق الذي يرافق انتظار رسالة، ونوع الورق، والكتابة بخط جميل لإثارة اعجاب المتلقي، وكل تلك الطقوس التي قتلتها الهواتف الذكية في أولادنا، حتى أنهم يكتبون رسائل قصيرة بأحرف أجنبية وأرقام تُلفظ بلغة عربية بشكل مشوّه، وأحيانا يختصرون جملة بأكملها برموز تعبيرية "إيموجي" تضحك وتبكي وتندهش وتغضب وتعشق وتكره... من المستحيل أن تضاهي الرسومات المعبّرة في كتب الأطفال والتي تبث البهجة فعلا في قلب ناظرها. وتجعل خيال الطفل ينتعش وكل حواسّه وقدراته الإدراكية تعمل.

هل تريدون معرفة سرٍّ آخر؟

كلّما شعرت بلاجدوى الكتابة، عدت لقصص طفولتي التي صقلت مواهبي، وتذكّرت كم كانت حقيقية وهي تمسك بي من يدي لأرافقها بكل اطمئنان وهي تشق لي طريقي في الحياة، ولم تخيب أملي أبدا.

مثل أية رواية حزينة

بتول حميد

ومثل أية رواية حزينة..
ببداية مرهفة
ونهاية تراجيدية
ستترك حبيبتك وتقترن بامرأة عادية
تهذب أظافرها على صوت نشرة الأخبار
تشرب الحليب المحلى بالعسل
وتنتعل صندلاً منخفضاً
كي لا تفوقك طولاً..
امرأة لا تقرأ عليها الشعر
ولا يكتب شوقك إليها مطلع قصيدة
لا تميّز ابتسامتك المندهشة من المنهزمة
تنهار آخر النهار على ذراع أريكة
ولا تختار
أن تأوي إلى كتفك
امرأة لا تتلوى على شالِ أغنية
ولا ينام على صدرها ديوان أثير
لا يجافيها نوم
ولا يسكنها حلم..
تكتفي بقبلة باردة
بغواية عجلى
وعناق موارب..
تهندم جسدك أمام مرآتها
بوقار بدلة كلاسيكية
يبكي داخلها
جنون مراهق..

من فرح التجوال في وطنه اليونان إلى الفضاءات الأوسع

نيكوس كازانتزاكس في «تقرير إلى غريكو»

كم هو صعب وعسير أن تقرأ سيرة فكرية لا سيرة ذاتية، وإذا ما عرفنا بأن صاحب هذه السيرة هو نيكوس كازانتزاكس فإن الصعوبة تزداد وتتعمق لما للأسلوب الصعب والمعقد الذي يكتب به. فالكاتب يلخص مسيرته الفكرية، وهذا يعني بأنه يلخص الأفكار التي يحملها والتجارب التي عاشها من خلال ما كتبه من روايات أو من خلال شخصيات تلك الروايات، وهذا ما يتجلى في روايتيه «زوربا» و«القديس فرانسيس الأسيزي: الفقير للّه». فقد بدأ التقرير في خريف العام ١٩٥٦ وكان يقول بأن عليه أن ينهيه قبل أن يذهب الى (هيدس) والمقصود هنا مثوى الأموات في الميثولوجيا اليونانية، وقد كتبت زوجته (هيلين) في مقدمة هذا الكتاب بأنه أي كازانتركس "كان نقياً ودون مكر، وبريئاً وعذباً بلا حدود مع الآخرين، وقاسياً مع نفسه فقط. وحين ينسحب الى عزلته، فإنه كان يفعل ذلك لإحساسه أن الأعمال المطلوبة منه قاسية وأن ساعاته محدودة"، فالمسيحية متأصلة في أعماقه ومع ذلك لم تشف غليله ولم تشبع فضوله العقلي فأخذ يبحث ويقرأ المزيد عن القديسين ومحن الشهداء ليزين بخياله حياتهم كما يقول.

حميد الملا

وحين يتذكر طفولته يذكر لنا التالي "كل ما ترسب في عقل طفولتي تجذّر فيه بعمق كبير. وكنت قد تلقيته بقدسية، إلى درجة أنني، وأنا في هذا العمر المتقدم لا أتعب أبدًا، من تذكره وإعادة إحيائه بدقة متناهية أتذكر لقائي الأول بالبحر والنار والمرآة وبروائح العالم". وحين أراد كتابة مذكراته كان يود أن يحصل على المزيد من الوقت، ولهذا لم يضيع أية دقيقة فقد كان يسابق الزمن وهو في عمر متقدم وعليه أن ينجزه قبل فوات الأوان، فيقول "لقد غربت الشمس، وأصبحت التلال معتمة، ولاتزال حواف جبال عقلي تحتفظ بالقليل من الضوء على قممها، لكن الليل المقدس يهبط".

فالتقرير، أي المذكرات، موجهة كما هو واضح، إلى جد الكاتب غريكو الرسام الشهير وبالتالي كل المخاطبات تنمّ عن التواصل الوجداني بين مختلف الأجيال اليونانية، ومن هنا سر فن إيصال الفكرة التي لم أجدها عند أي كاتب آخر. فهذا الكاتب العصامي عانى الكثير في طريق البحث عن الخلاص، كما كان يطلق عليه، وهذه السيرة تبين مقدار هذه المعاناة، فمنذ الطفولة بدأ مشوار البحث، ومن كريت مسقط رأسه إلى جبال اليونان وبحارها وشواطئها وجزرها الخلابة حيث كان الحج عبر اليونان كما يسميه، وقد استمر لثلاثة أشهر وكما قال: "الترحال عبر اليونان فرح حقيقي واغتناء عظيم"، وبعد هذه الجولة المفعمة بروح البحث انطلق لفضاءات أوسع، العالم، وكانت محطته الأولى إيطاليا وعنها يقول: طوال شهر العسل ذاك في إيطاليا كنت حرًا دون مشاكل ميتافيزيقية، ودون قلق حول الحب. أفراحي لم تكن تشوبها شائبة. ولحبه لإيطاليا ولمدينة أسيزي تحديدًا أصدر روايته الشهيرة "فرانسيس الاسيزي الفقير لله".

وعن تلك المدينة يقول بأنها أكثر المدن قداسة، فإيطاليا قد

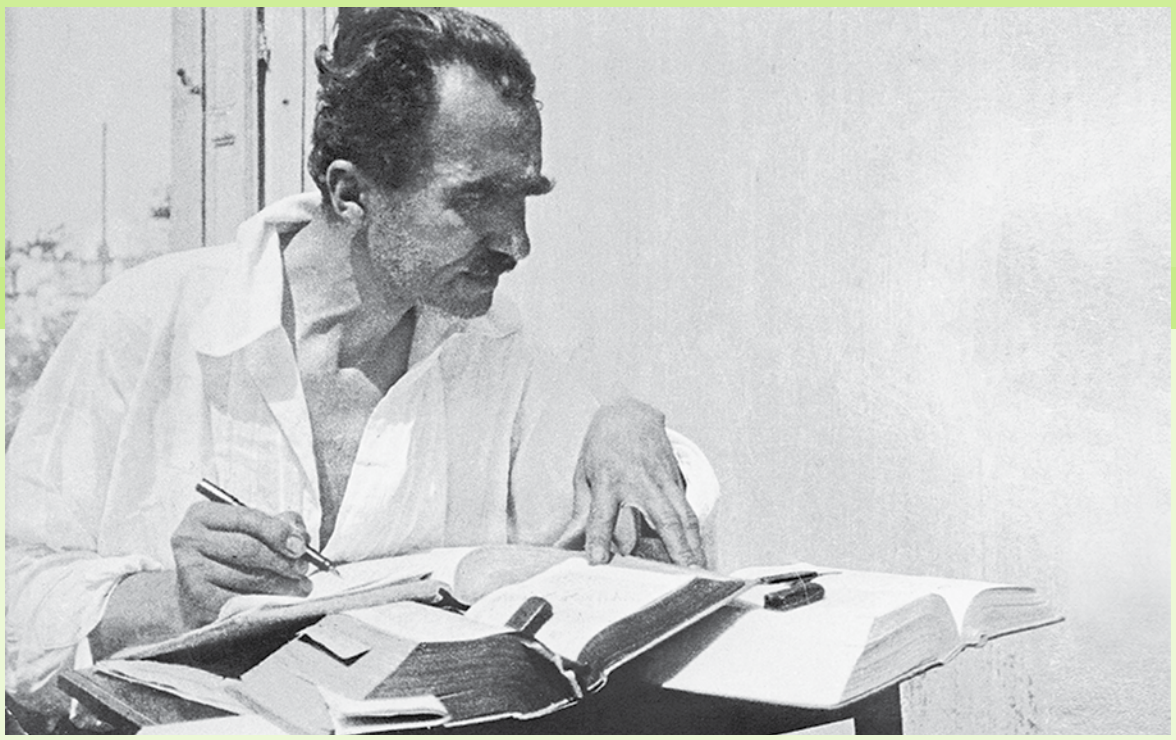

هيمنت على روحه كما روحه هيمنت على إيطاليا واتحدتا اتحاداً لا انفصام بعده كما يقول، فتجربته في إيطاليا كانت غنية الى تلك الدرجة التي صوّر بها ذاك الالتحام، ففي ساحة ديكساميني كان يجلس في زاوية ويصغي كما يقول وكنت اثرثر، ولا أتردد على الحانات ولا ألعب الورق. كنت شخصا لا يطاق، فحب الناس عن بعد كان أسلوبه للتأمل والتفكير والكتابة، وكأن التصوف قد داهمه، بعدها توجه في رحلة إلى القدس ليواجه مصير تلك الحقائق التي تلقاها من مدرسيه الأوائل ويتوقف عندها: "الجراح القديمة التي أصبت بها خلال بلوغي، حينما أفشى لي معلمي باالسرين العظيمين، أن الأرض ليست مركز الكون، وأن الانسان ليس مخلوقا متميزاً نازلًا مباشرة من يد الله". وهنا تحديدًا، أي في القدس، يواجه مصيره بشجاعة ويتخلص من بعض الأوهام الميتافيزيقية التي علقت بعقله ليصارع ويتصارع مع القديسين والشياطين ليلفظ الى الأبد عن كاهله الكهنوت، وأصبح الصعود في كفاحه هو الهاجس المؤرق له دائماً وأبداً وانتهى بمقولة جميلة معبرة كل من يقتلع غرائزه يقتلع قوته. وفي ذلك المشوار الطويل يلتقي نيكوس كازانتزاكس بنيتشه العظيم، كما يسميه، في باريس، من خلال تلك الطالبة الجامعية المجهولة التي التقى بها في مكتبة سانت جنفياف والتي فتحت عينيه على نيتشه ليتعرف بعدها على كتاباته الفلسفية "ولادة التراجيديا" و"هكذا تكلم زرادشت"، "هوذا الإنسان أفول الأصنام"، ليقول بعد ذلك: كانت تلك واحدة من اللحظات الحاسمة في حياتي، كان الغذاء الذي غذاني به نيتشه في تلك المرحلة الحاسمة النهمة من شبابي غذاءًا قوياً كغذاء الأسود. كنت قد كبرت بسخاء". ومن خلال تعرفه على نيتشه تؤصل إلى مبتغاه ليقول كم من السنوات قد عشت من دون أن أعي ذلك!. كان من الضروري أن يأتي النبي القاسي ويفتح عيني، فثلاث تحيات لنيتشه فهو الذي مدني بالشجاعة للقول: إن هذا ما أريد".

هل تعب من الترحال واستقرت روحه؟ مثله لا يتعب فالكفاح والصعود درجات يؤرقه ويبقيه في حالة صعود دائم واليونان مبتدأه ومنتهاه ليقول أينما ذهبت وحيثما حللت فأنني أمسك باليونان بين أسناني كورقة من الغار. ويظل في حالة من التنقل الدائم ليمكث في فيينا تلك المدينة الفاتنة الضاحكة والتي يعتبرها ربّة رابعة بعد تاليا، أغلايا، يوفروسين وهن ربات للحسن والجمال وكن وصيفات لافروديت يعتنين بزينتها.

في رحلة الصعود والبحث عن الخلاص تلك يصل إلى برلين، وفي هذه الأثناء كان قد تعرف على بوذا وتعاليمه بعد تشبعه بتعاليم المسيح والقديسين وكهان المعابد، وتعلم منه القدرة على رؤية الأشياء ونبذ الكراهية ليردد مقولة بوذا الشهيرة: "إذا رددنا على الكراهية بالكراهية فلن يتحرر العالم من الكراهية. فالأسئلة لا تتوقف والبحث مستمر والصراع من أجل الصعود الى قمة جبل الحقيقة يتواصل، فواحد من مثل كازانتركس لايكلّ ولا يمل، ومثله الأعلى يتراقص ويرقص مثل زوربا في تلك الرواية البديعة وظمأ البحث عنده لايتوقف ولا يرتوي من شرب فلسفة هنا أو طقس هناك، فهنا يتوقف ملياً عند لينين بعد وصوله الى روسيا ليصل الى قناعة من أن الانسان في حاجة إلى الجنة على الأرض وليس السماء، وهذا لا يتحقق سوى بالنضال من أجل العدالة الإنسانية وعندها كان يقول: إن هذا هو صوت روسيا. وأقسمت على أن أتبعه حتى الموت، لقد كنت أعني ما أقول كنت مصممًا على التخلي عن حياتي. فهمت لأول مرة أي فرح لابد أن يشعر به أولئك الذين يرجمون أو يحرقون أو يصلبون لأجل فكرة. كانت أول مرة أمارس فيها معنى الأخوة بهذا العمق، ومعنى أن البشر كلهم واحد، وأدركت أن هناك هبة أسمى من الحياة وقوة تقهر الموت.

ومع ذلك ظلّ في حالة ترحال حاملًا معه أسئلة وباحثا عن أجوبة، وظلت كريت معبودته محمولة أينما حل وأينما ارتحل، كما اليونان بجمالها وعظمتها ليعيد له زوربا ألقه وفرحه، فزوربا بالنسبة له كما يقول دليل روحه، لما يتمتع به من خصال فهو يمنح العذرية إلى العناصر اليومية والأبدية: الهواء والبحر والنار والمرأة والخبز، كما يتمتع بيد واثقة وبقلب طازج وعذب. فلا غرو أن يفرد له رواية من أجمل الروايات كلما قرأتها تعيدها وتعيدها مرّات ومرّات. فقيمة الانسان عند نيكوس كزاانتراكس لا تكمن في النصر بل في الكفاح من اجل النصر. إن قيمة الانسان كامنة في شيء واحد فقط هو: أن يعيش ويموت بشجاعة دون التنازل بقبول أي جزاء، وهذا ما قام به في مذكراته هذه تاركا لنا وصايا من ذهب وبتلك الفلسفة عاش ومات، فكم كان حريصاً على الوقت، فقد كان يقول حين أرى الناس خارجين للنزهة، أو يتمشون دون هدف، أو يبددون الوقت في مناقشات لا طائل منها أحس بالرغبة في الذهاب الى ناصية الشارع لمد يدي مثل شحاذ وأطلب منهم: صدقة أيها المسيحيون الطيبون . امنحوني القليل من الوقت، ساعة، ساعتين، أي شيء تحبون.

فما أعظمه وما أجلّه من إنسان بهذه المواصفات. وبعد كل ذلك هل من عتاب يمكن أن يلقاه من جده غريكو، ذلك الرسام البارع مع هذا الحفيد الرائع وهل أجمل من هذا التكامل الوجداني والفكري والفني وبعد كل ذلك ألم تثمر الأوديسة بهذا العمل الفني الفكري الذي أبدعه كازانتركس؟.

السوربون

اعتدتُ التأمل واللافعل في الجامعة، فلَمْ أرغب برؤية وجه أساتذتي الرأسماليين في قاعة المحاضرات، أو مناوشة العصافير على سندويشة الفلافل، أو الاصطدام بالأبواب الزجاجية والحاجز الدوار للمكتبة. بقيت على حال الاغتراب إلى أن التقيت بهيا قاسم التي تكبرني بعامين. كانت أول مرّة تطأ قدمي المكتبة عندما دست على يد هيا وهي جالسة على الدرج.

في قاعة المراجع قدمتني هيا لصديقتها حنان عمران، طالبة متفوقة جدًا في كلية الآداب واللغات. كان وجهها يلمعُ بسبب الكريم المبيض واكتظاظ الأفكار العارية والسمات الخادعة، ومثل هيا تتلحف بملابس محافظة جدًا، ولكن كلتاهما كانتا تحشدان نهديهما في حمّالة صدر محشوة بالإسفنج.

يا إلهي كم تستطيع المرأة أن تكون نمْسًا.

ليلى سلامة

أخذتا تهمسان وتحذفاني باسم ليس اسمي جعلني أنكمش حرجًا: "ناهدة" ..."ناهدة"

(هل اسمها ناهدة؟!) سألت حنان ساخرة وحامت ضحكتها مفزعة فضاء القاعة.

ضحكت هيا. ولم أفهم شيئًا. لم أكن ناضجة فكريًا، ونفسيًا، ولا اجتماعيًا. لم أكن أفهم المغزى من أمور كثيرة. ساذجة نعم! كنت كذلك.

مرّت سنتان وجمعتنا صداقة جميلة، فكنت عندما أسبقهما في المشي تنادي كلتاهما: ناهدة! ثم اعتقدت أنني أشبه صديقة سابقة اسمها ناهدة.

لم أعدْ أحتملُ الاسم عندما أدركت المقصود منه. لا وعي عندي ولا إدراك، حقوقية منزوعة المفردات. لجأت وقتها إلى المعاجم.

صحيح أنني كنت أتمتع بمفاتن تحسدني عليها الفتيات والنساء المتزوجات، لكن لم أكن مهتمة لذلك. ورغم أنني لم أكن متفوقة في الدراسة، وبلا ملكة ذهنية لاستيعاب المواضيع الجافة في الحقوق، وأعيشُ في مخيم، إلا أنني لم أفكر يومًا بأنه يتعين عليّ عوض أن أرتدي ثوب التخرّج أن أتخرّج بزوج.

كنت أعلم أنّ الحياة بانتظاري لاستكشاف أمور كثيرة، للأخطاء، للمغامرات والعبث. كم كرهت القانون، فأنا عالقة في فكرة أن لا عدالة على الأرض وأنّ القوانين خُلقتْ لتكسر وأنّ القانون الجنائي يعاقب الفقراء على سرقة الأغنياء والقانون المدني يأذن للأغنياء بسرقة الفقراء.

حاولت كلتاهما دفعي لترك الحقوق ودراسة علم اجتماع وتربية طفل، لكن لم أرَ نفسي يومًا معلمة أو مربية؛ لكوني وإن علّمتُ ذاتي مقدمة ابن خلدون، لكن لم أستطع أن أربيها. التصقتُ بالحقوق رغم أنني إعصار مندفع يليقُ بصحفية. لم أطمح للعيش في كنف رجل، فاخترت الانصهار في الزمان والمكان واللافعل.

كانت حنان شغوفة جدًا بتفوقها الأكاديمي وسرعتها في الانتقال من درجة البكالوريوس إلى الدكتوراة في وقت قصير نسبيًا، فأصبحت أصغر أستاذة بدرجة الدكتوراة، لكنها كانت تخشى كثيرًا من رؤية والدها لها تتسكع معنا دونما هدف، ولذا اعتدنا التسكع في قاعة المراجع. هههههه. ضحكاتنا صمّاء في فضاء القاعة.

عندما شارفت حنان على الانتهاء من الماجستير أخذ القلق يسبب لها عجزًا نفسيًا. كنّا نبحث معها عن زوج عند درج المكتبة حيث يحتشد الطلاب الكبار. لم تجد غايتها. مرّت عليها لحظات بكاء عارمة، ولم نكن نعرف كيف نواسيها. حنان كانت مؤهلة لمنحة الدراسة في جامعة السوربون، ولكن شرط والدها البروفيسور أن تسافر مع زوج.

مسكينة حنان عمران. صُعقتْ انعدام منطقية الوقت المناهض لغايتها لا من شرط أبيها. تذكرتُ الفيلسوف رولان بارت الذي كان منشغلًا طيلة حياته بالطريقة التي يجعل بها الناس عالمهم مفهومًا ومعقولًا. كان ينتمي لجامعة السوربون، وأنا لا أتخيل حنان بالعقل الذي يخمد في رأسها تليق بالسوربون.

أخيرًا وجدتْ حنان زوجًا على قارعة الطريق، فهناك أشياء كثيرة تنمو على قارعة الطريق حتى الرجال. إنّه الطالب الوحيد على عتبات درج المكتبة الذي التفت إلى حنان. لم تلتقِ بعينيها إلا عيناه. لم يكن ثمّة رجلٌ آخر غيره. يكبرها بأعوام، متكرّش، ولا زال ينتقم من الماجستير على طريقته.

بدا الأمر سريعًا، تمّت الخطبة بسرعة. أشهر قليلة تفصل حنان عن السوربون. كانت منشغلة كثيرًا في تلك الفترة بالتحضير لعرسها وإجراءات السفر، ولذا لم تحظ بالوقت الكافي لتقضيه معنا. شعرتُ بالغيرة تسري في كلمات هيا وللكلمات صوت ونبرات. جلسنا تحت أشجار السرو قبالة المكتبة نطعم العصافير المتسولة.

لم نرَ حنان لانشغالها، ولم يكن ثمة طريقة للتواصل معها سوى الهاتف الأرضي. جعلت هيا تقابل صديقها ويحكيان أمامي عن خططهما بعد التخرج. كنت أجلسُ بينهما محرمًا للحفاظ على عذريتهما. في تلك اللحظة انقلبت الجامعة رأسًا على عقب. هبّت فوضى عارمة في شارع البوابة الرئيسية. هراوات وأسلحة بيضاء وعصي. ثمّة فتاة في هذا الصراع. صراع الديكة على دجاجة شاردة. لا أدري! لا يمكنني أن أصف تلك السخافات إلا بهذا الوصف. رأيتُ طلابًا يختبئون في المكتبة وآخرون يطاردونهم والشرر يتطاير من أعينهم. لم تكن ثمّة مظاهرة، ليس الأمر كما يعتقد البعض. تبقى «الأردنية» سيدة الجامعات في الأردن، رغم ما يحدث فيها من قصص غريبة.

ليس مهمًّا ففي الجامعة كانت تحدث قصصًا أكثر إيلامًا.

ولكن أين اختفت حنان؟ ما خطبها!

لم يكن ما يحدث من شأننا، أكمل صديق هيا حديثه الرومانسي الدافئ كسمرة وجهه البريء. كانا يتحدثان بجدية ومنطقية ونضج، إلى أن اقتحم جلستنا الاعتيادية أحد زملائه.

إنّ خطيب حنان رجل متزوج من الشحرورة! هكذا قال زميل صديقنا.

لم نفهم المغزى. قالها مرة أخرى وعلى نسق واحد: إنّ خطيب حنان يعيش على حساب امرأة كبيرة بالسن، متزوج عرفي ويعيش معها في شقتها مقابل الجامعة.

انتشر الخبر كتغريدات تويتر في زمننا الحاضر. وأمّا الفوضى التي كانت تجري أمامنا ولم نعرها اهتمامنا هو للقبض على ذلك الطالب الذي غرّرّ بحنان.

أخذنا نمسح على قلب حنان ونعزيها بمصيبتها. تلك كانت فضيحة في الجامعة من الفضائح التي لا تتكرر. كنت، كما في طفولتي، حسنة النية. هبّ سؤال في رأسي: وماذا عن السوربون؟!

سلختني هيا بنظرة لإقفال فمي. إنني بحق ساذجة. لا أعلم كيف قلت ذلك الكلام تلك اللحظة.

أخذت ألحق بالأرصفة الجانبية على شارع الجامعة للتملص من سذاجتي وضيق أفقي وعقلي المحدود كما وصفني أحدهم ذات مرة.

لَحقت بي هيا وأنشأت عبارات تعزية لي بسذاجتي.

لم يكن من السهل بالنسبة لحنان التعافي من مصيبتها. الطلاق وهي ما زالت في 23 من عمرها. قلنا لها: إنها خطبة! قالت: اسمه طلاق!

ضحكت ثمّ سألت متعجبة: اسمه خطيبك السابق طلاق؟!

صفعتني هيا بانفراج حاجبيها حتى كاد بؤبؤ عينيها يقفزان من محجريهما.

أبهرني صبرها وحزنها ولامبالاتها بالسوربون. ليس لديها محرم! ولم يعدْ هنالك زوج! تقدمت لدراسة الدكتوراة في الجامعة. نعم إنها صديقتنا حنان عمران الشغوفة بالكريم المبيّض أكثر من اللغة العربية وآدابها، والفلسفة وجمالها والسوربون وتاريخها العريق.

لم تتركنا حنان، بقينا سوية في الجامعة، ولكن كلتانا متخلفتان عنها دراسيًا. أخذت رحلة التفتيش عن عريس تزداد شقاءً، فحنان على أعتاب التخرج من درجة الدكتوراة دون زوج.

في أحد الأيام المعتادة جلسنا على أدراج المكتبة الممتدة لاحتساء القهوة السريعة. كنا نقصد أمرًا. كان لنا هدف، وهو أن تجد حنان ضالتها.

تعافت حنان من ماضيها. من تسرعها. اتصلت بنا لدعوتنا لحفلة خطبتها. أخيرًا تزوجت الدكتورة حنان من شاب يفوقها عمرًا وأدنى من مستواها الأكاديمي. كان شرط والدها هذه المرّة أن يكمل الدكتوراة تحت الضغط. ليست ثمة سوربون في الأمر، المهم أنه عريس

يكفي لقضاء الحاجة ويكمل درجة الدكتوراة.

اشتعلت هيا عندما رفض والدها صديقها ذا البشرة الداكنة، هي بيضاء وهو أسمر ولم يرَ والدها من العدل أن يختلف ميزان الطبقات هنا. اشتعلت غيرة من حنان لأنها سبقتها. أما أنا كنت وعلى طريقة كلاوس في قصة (سيحدث شيء) لهاينرش بول أمارس فعل التأمل واللافعل في أي أمر. في الواقع لا شأن لي بمثل تلك الأفكار.

كانت آخر مرّة نلتقي فيها بحنان يوم عرسها وبعد ذلك أقفلت الأبواب. أغلقت باب مكتبها في الجامعة وبيتها في وجهنا. لا نعرف عنها شيئًا.

لم أتعلّم الكثير بصحبة هيا وحنان سوى ثقافة أنّه لا يمكنني الدراسة في السوربون بدون محرم.

تخرجت من الحقوق بحفظ مادة قانونية واحدة فقط هي المادة 256 من القانون المدني أبو القوانين: كل إضرار بالغير يلزم فاعله ولو غير مميز بالضرر.

تخرجت من الجامعة على مضض، ولم أكن أريد الخروج إلى العالم الآخر. انكمشتُ كطفلة تبكي في يومها الأخير بالمدرسة.

نظرتْ إليّ العصافير، ولكن لم يكن معي فتافيت خبز. كان ثمّة شاب وسيم يراقبني من بعيد، لا يحمل سوى قلمٍ، فأدركت أنه طالب عادي وكسول. ابتسم لي حتى وشّحتني ابتساماته الغضّة. في اليوم الأخير لي بالجامعة، هل هذا معقول؟! آه من سوء الحظ!

رمقني بكل تهذيب، لم يتقدم خطوة، ولم أتقدّم نظرة. انشغلت بالعصافير التي أحاطتني طلبًا للأكل. انسحبت من المكان وسلّمت بطاقتي الجامعية ووقعت براءة الذمّة. كان ثمّة شيء سيحدث. بالطبع لن أدرس في السوربون ولستُ أهلًا لها.

بعد سنوات قليلة أمام مكتبي (عدالة للمحاماة) كنت متوجهة إلى المحكمة لمقاضاة أستاذي الرأسمالي الذي رفع أسعار كتبه فأخفقت في كل مواده. عند باب مكتبي التقيت بذات الشاب الوسيم الذي رمقني مرّة بنظرة إعجاب قبالة المكتبة وليس على أدراجها في يومي الأخير بالجامعة والذي لم يكن يومها يحمل سوى قلم.

قال لي: بحثت عنك كثيرًا! هل تحلّقين معي إلى السوربون؟

ها... لم أكن أعرف أن الطلبة الذكور بحاجة إلى زوجة للالتحاق بجامعة السوربون. آه كم أنا ساذجة، أشعر الآن كم كنت غبية عندما سخرت من حنان.

حقًا إن السوربون جامعة مثيرة للتساؤلات والشكوك. فكّرتُ كثيرًا ثمّ سألته: هل يحدث في السوربون قصصًا غريبة؟!

مختبر للأسئلة ولمحاولة فهم تحولات الحداثة في المحيط العام، الحداثة بمعناها الفكري والإبداعي منها في السرد الخليجي، لا التمظهرات العامة التي بقي الوعي الإبداعي غائبا عنها نسبياً.

الكتابة في وجه التمظهر
(ملتقى السرد الخليجي ٢٠٢٢)

ثقافة

الكتابة في وجه التمظهر

لعلنا دائما كل ما طرح سؤال الكتابة، يتخلق في ذهننا بالتوازي، سؤال الوعي، أن تكتب يعني أنك تعي، يعني أنك قد بدأت بمحاولتين، إما أن تحاول فهم العالم المحيط عن طريق تحليله أو إنكار هذا العالم بخلق عالم مواز هو عالم المخيلة، الذي منه صنع الوعي الإنساني إدراكه الأول للعالم الذي يحيط به، وعندما أعود لذاكرتي الخاصة الأولى، وتشكل وعيي من خلالها، أجدها تتخذ من الحكاية مساراً لمحاولة صناعة حياة موازية، بدأ الأمر هكذا كمغامرة شقية، تشبه ذلك النوع من المغامرات الطفولية التي نحاول من خلالها سبر العالم المحيط بدون خوف، وأذكر أن الحكاية الأولى التي تخلقت في ذهني كجزء مواز لواقع العالم، كان مشهد النافورة التي تنام وتستيقظ مثلما نفعل نحن البشر، كنت أتسلل من المنزل وأنا في عمر السابعة، معي لعبة وحيدة هي المفضلة، وفضول متقد، لا يعبأ بفكرة الشوارع الغريبة والناس الأغرب، لا يفهم معنى نهضة متسارعة ولا شوارع مسفلته متكاثرة في أوج تسعينيات الخليج الميلادية، لا يدرك ربكة إنسان المكان ولا احتمالاته المتوجسة من الجديد المتطاول، ولا يستطيع بالطبع أن يفسر هلع أمي ورعب والدي متى ما تم اكتشاف غيابي عن المنزل، كان جل ما يرغب به ذلك الفضول أن يشبع الحكاية الموازية في المخيلة، بتقصي أوقات استيقاظ ونوم النافورة، النافورة التي بقيت هناك في جزئها الأثير من الذاكرة إلى حين استدعيت كمفتتح لروايتي الأولى بعد قرابة العشرين سنة:

« الشارقة ١٩٩٥

صالحة عبيد

– يمكن راقدة
– أو يمكن ماتت

كانا يلعبان بالكلمة ككرة، يقذفانها بينهما، «موت»، يحاولان سكبها على الأماكن والأشياء والأشخاص، يرغبان بالتأقلم مع هذا الفعل الطارئ على فهمهما، الموت يعني أن الجسد يغيب وتبقى الرائحة، الرائحة التي لا تزال مرتبطة بتلك الغرفة الصغيرة، غرفة الجدة.

أيقظهما ماءٌ تدفق فجأة، راحت هي تتأمل انفلات الماء المباغت فيما راح هو يقترب من «النافورة» بحذر العاشق الموشك على لمس وجه محبوبته للمرة الأولى، لمس الماء، وعلى أثر اللمسة هربت قطرة وسقطت على وجهها، جفلت مرة أخرى، أو جفلا معاً، ضحكا، «النافورة» حية، ليست ميتة.. تفكر، أو يفكر، يفكران معاً، تنسل هي من الفكرة المشتركة والضحكة وتعود إلى تلك الليلة ومركبة والدها البيضاء تتوقف أمام المنزل، تذكر بوضوح نشيج أمها، وهي تغادر المركبة، شكل الحزن على وجه والدها، شهقة المربية التي كانت تمسك بيدها الصغيرة عند الباب والعبارة الركيكة التي راحت تتضاعف في هواء المنزل والحي والعالم.

– «يدّو(*) موت».

هل هذا يعني أن جدتها قد جفت؟!» (1)

ومن هنا أظن أن أول وعي طفولي بدأت منه الحكاية، بدأ من قلب المدينة اللاهثة، من تلك الأشياء الجديدة النابتة، التي لم يسبق لتلك المدينة الساحلية أن اختبرتها، ولأن المخيلة في أصلها كيانٌ جمعي كما يعرفها «نوربرت إلياس» في كتابه مجتمع الأفراد، فإن مخيلتي اتسقت مع ما زرعه موروث المخيلة الإنسانية المتوارث في أن يأنسن ما يربكه، ثم ما يلبث أن يمنحه الخوارق رافعا إياه في مقام الآلهة، أو يدنيه من الطين خالقا، الهشاشة البشرية التي يتسق معها أكثر، ومن هناك ولدت مخيلتي وذاكرتي الأولى معاً النافورة التي تستيقظ وتنام وجدتي التي تموت. بالمناسبة، لا تزال تلك النافورة قائمة حتى اليوم، خالدة، وحيدة، تستيقظ وتنام للأبد، في مدينة عالجت حداثتها الظاهرية المتصاعدة، بالاستقرار على وجه لا يتغير بإضطراد كمدن قريبه أخرى.

كبرت تلك المخيلة لتجد مكان لها بين الكتب ، كتب السرد تحديداً ، وحيث الحكايات التي تحاول من خلالها تلك الفتاة التي راحت تكف مغامراتها عن الخارج موجهةً إياها إلى عوالم تلك الحكايات التي اكتشفتها في الكتب، الكتب التي كانت تقدم المدن في قلب المدينة الواحدة فتجعلها لكأنها عالم واحد والشخوص المتنوعة التي ساعدتها لتفهم تنوع الوجوه الغريبة في مدينتها لتكسر من خلالها وحشة الغرابة بفضول مقارنة الأنماط بين ما تقرأ وما ترى، ثم كان جاء الخروج عن التفاعل مع الأنماط قراءة وملاحظة إلى الانتقال إلى فكرة الكتابة، التي بدأت في أولها، تماما كخطوات مخيلة الطفولة الأولى، على هيئة قصص قصيرة، تحاول أن تتأمل في الإنسان من خلال وعي وخيلة فتاة في التاسعة عشرة من عمرها، وأذكر أنني في آنها، وأنا أصنع شخوصي الخاصة الأولى وأمنحها محيطها للتحرك، لم أكن أدرك ماهية الجنس الكتابي الذي أخترته، ولم أكن أعي كما اليوم أنها الفكرة التي تأتي أولا، ثم تتخلق لتخرج من نطاقها الأثيري إلى جسد القصة أو الرواية أو القصيدة أو.. أو.. أو.، كانت شخوصي في آنها مرتبكة، جميعها إما لعطب جسدي أو نفسي، لعلها ربكتي الشخصية أو ربكة المدينة المحيطةً لا أعلم ، لكنها أيضا وبشكل ضمني كانت تقاطع اختلاط وعيي بوعي القراءات الإماراتية السردية الأولى التي راحت تطرح في ربكة المكان والإنسان، وتحولاته وعما إذا كان ما يحدث في الخارج يعكس ما يحدث في الداخل فعلياً وأعني هنا ما يحدث في خارج الإنسان الخليجي الإماراتي وما يحدث في داخله، لا زلت أذكر ذلك السؤال من خلال قصة «فيروز» للقاصة الإماراتية مريم جمعة فرج ، التي أقتطع دائما منها مشهداً قرابة الخاتمة

«كنت تركض ! كنت توقف المارة وتتكلم عن تربتك.

يسألونك فاغري الأفواه تجاه معجزة الخروج من الجنون:

إذا خرجت من الماء، قلت لكم، قلت. وكلما توغلت في الوجوه، كلما أيقنت أنها رغم تغير الماء وتلاحق أزمنتها عبر فترات متباعدة، فإنها لم تتغير كليا، هي ذات الوجوه وهذا هو رئيسك يترك السيارة الناصعة البياض كقطعة ثلجية أخرى، مختالا يهبط ثم يتجه بوجهه ناحية المارة وعمال التنظيف، عندها ترتج فرائصكم ويرتفع عبر السلم الكهربائي البارد، ثم لا صوت يتبعه وهو يتجه ناحية البوابة الكبيرة، يدخلها كالزمن الكبير، ثم يتثلج متجهما. يقف طابور أمامك متساويا، مترصدا سقوط الثلج من يدك، عجوزٌ وحدها تخرج عرجاء ملتوية في عباءة عتيقة ذات رائحة وتشتمك

إيه "خبل"

فتصرخ: أسكتوا هذه المجنونة» (2)

لكن تلك الربكات التي تقاطعت معها، لم تستطع أن تخلق شخوصاً مرتبطة بالمكان بشكل كامل كما فعلت النصوص التي قرأتها لفرج ومجايليها، بل كانت قد تفسخت عن المكان نحو هوية لا ترتبط بشيء سوى تلك الربكة أو ذلك العطب، وهو ما عكسه عنوان مجموعتي القصصية الأولى» زهايمر» الصادرة عن مشروع قلم التابع لهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة في 2010، كنت في آنها في الثانية والعشرين من عمري، أعرف كيف أخلق شخصاً في قصة قصيرة، لكن هل كان ذلك كاف، هل كانت تلك التجارب حقيقية وأدرك من خلالها ماهية أن أكون كاتبة أو معنى الكتابة، إذ أنني بعد تخرجي من الثانوية بقسمها العلمي تخصصت في الهندسة التي توجهت إليها لرغبة عائلية في البداية تطورت لتخلق رابطا خاصاً مع الاستنتاجات المباشرة والأرقام الواضحة، مع محافظتي على نمط القراءة ومحاولات الكتابة، وحيث كنت بالتوازي مع دخولي معامل التجريب والدراسة لاختصاص الهندسة الإلكترونية، أصنع تلك القصص لتكون مختبري الذهني الخاص، أجرب من خلالها، ما اعتمل بداخلي من أسئلة بسيطة واحتمالات، أجرب فقط.. ويمتعني ذلك، ويشعرني على بساطة تفكيري في آنها، بنشوة القدرة على خلق مصائر صغيرة، قصيرة ومبتورة.

لكن الأمر داخل معامل التجريب ومختبراته، يختلف تماما عندما يخرج الأمر للعالم، وكانت مواجهة «زهايمر» المجموعة القصصية للعالم، بمثابة صدمتي الأولى

(2) فيروز – مريم جمعة فرج –86 19

في اختبار فكرة أن يكون هناك معنى ضمني أشمل وأكبر لفكرة الكتابة، المعنى، أنت لا تخلق الحكاية فقط، لا تصنع شخصاً ورقياً، لا تمارس مغامرة سردية ، أنت تصنع معناك الخاص أيضا، الذي يجب أن يتقاطع بشكل ما مع نواة المعنى في الكون، تصور شاسع وبعيد عن الفهم العميق لإدراك فتاة العشرينات الأولى، ومن هنا اتجهت القراءة للتنوع ، لقد أصبحت مشروعا موازيا للكتابة، لم تعد قراء الحكاية هي المتعة فقط، بل كل ما يحيط بالنتاج الفكري البشري من فلسفة وعلم نفس واجتماع واقتصاد وسياسة، لكي تصنع معنى الحكاية ، لكي يصبح للمصائر في السرد لحم ودم ، عليك أن تسبر الكون من خلال مشروع القراءة، فبدونها لا كمال ولا اكتمال إنساني بالدرجة الأولى قبل أن يكون إبداعيا، ثم تأتي الحياة على الأرض، حياة التجربة والاكتشاف خارج الكتب باعتبارها مضماراً لاختبار وهضم المقروء، وإعادة فهمه، توازياً مرة أخرى مع الواقع المجرد في مختبرات الهندسة.

أثناء ذلك صدرت الترجمة الألمانية لزهايمر، ثم «ساعي السعادة» و»خصلة بيضاء بشكل ضمني « كمجموعات قصصية وبينهما «آيباد الحياة على طريقة زوربا» على هيئة رسائل سردية متصلة منفصلة في عالم الرقمنة الذي كان آخذاً باجتياح كل شيء حولنا نالت بعض النتاجات الملاحظة ونال بعضها الجوائز، وفي كل النتاجات كان الأبطال بعيدون نسبياً عن الاتصال بهوية راسخة، كنت العالم شديد الوضوح والتشابه، يعزلني عن محيطي القريب إلى المكان البعيد، لكن كيف لك أن تجيب أسئلة المكان البعيد وإنسانه العالمي، إذا لم تفهم أولا ماهية أسئلة المكان القريب؟ وجوهر الإنسان فيه، إنسان الحكاية والأرض، وتشعباته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في بعد من الأبعاد، كل ذلك أفضى بالمحصلة، إلى «ميرة» و»مسلم» و»مطر» في الشارقة الممتدة منذ ثلاثينيات القرن الماضي وحتى حداثتنا المربكة هذه، محاولة أو تجربة، لطرح السؤال / الحكاية، من خلال تجربة سردية طويلة، هي الرواية كجنس أدبي «لعلها مزحة»، ولا أعلم إن كنت قد نجحت في محاولة الرصد السردي تلك مع الحفاظ على المتعة والتقنية الإبداعية التي هي أيضا في بعد آخر جوهر المغامرة السردية.

الأمر المؤكد أنني وأثناء اشتغالي على «لعلها مزحة»، رحت أحاول أن أتأمل في فكرة ملحة وهي إلى أي مدى نشبه اليوم ما نكتبه إلى أي مدى استطعنا أن نذهب في تجاربنا السردية في تجريبها وجنونها وتقدمها مع ما يتوازى مع الحداثة المفرطة المحيطة بنا، وهل يجب أن يكون انعكاسها أو يبقى بالأحرى مرتبطاً بتعامل أبطال الحكايات مع منتجات المدن الحديثة الخارجية من هواتف ذكية وسيارات وتقنيات مبهرة بعيداً عن بناء سردي جديد وتساؤلات حارقة وملحة عن إنساننا اليوم؟ أو بالنحو باتجاه خصوصية أكثر عن المرأة الخليجية اليوم وهل تتساوى مثلا شعارات التمكين مع هموم المرأة اليومية التي تعيش حكايتها ضمن حكايات كونية كثيرة أخرى؟ خصوصا مع الطفرة التي تشهدها الساحات الثقافية على مستوى الخليج في تفوق لعدد الكاتبات الإناث على الذكور، في الحقيقة أظن أنني رصدت بترا –من وجهة نظري– بين المكان ومنتجه الفكري والإبداعي على مستوى المعنى، وعندما نتحدث عن المعنى هنا، فإننا لا نتحدث عن أدلجة المنتج السردي أو محاولة تحويره عن شكله الأساسي المبني على التجريب الإبداعي الحر في نواته أو تقديم رسائل مباشرة وفجة أو أخرى وعظية، ولكننا نتحدث عن نوعية الأسئلة المطروحة ومدى جرأتها وقوتها وتعبيرها عن كل ما يشهده الخليجي من تحولات كبرى في الخارج على كافة الأصعدة، تجاوزنا صدمة الطفرات النفطية، ثم ماذا بعد؟ وهل تجاوزناها فعلا؟

فهل ساهم الوضوح الشديد لكل شيء والإجابات الجاهزة الأقرب للتعليب في عزل الإنسان الخليجي / الإماراتي بالأخص اليوم عن خوض غمار تجارب لها من خصوصية البحث والتجريب ما يستطيع أن يبني عليه مادة سردية متينة وعميقة في تفاعلها مع العالم المحيط إنطلاقا من فردانية مشتعلة/ متغيرة / متسائلة ؟ أما على جانب التلقي فإنه قد خلق متلقياً رافضاً من حيث المبدأ لأي تجارب سردية تتحدى فيه ملكة التأمل والتفكير بشيء من الغموض الضروري؟

ولماذا لم تقرب المدن العالمية الحدثية المتشابهة من الإنسان على مستوى الفكر والفكرة بل زادت من عزلته؟، هل هي الفردانية السلبية على المستوى الآخر هنا التي خلقت جزراً معزولة من الأفراد التي تعيش الحداثة ذاتها بشكل سطحي دون أن تنفذ إلى عمق ربكتنا اليوم، أستشهد من هنا بتحليل لعالم الاجتماع «إيريك فروم» في كتابه «أن تمتلك أو تكون» الذي كان من خلاله يرصد تحولات مجتمعات ما بعد الطفرات الصناعية التي لا زالت تتوالد حتى وصلنا اليوم للنسخة الرابعة منها، يذهب «فروم» في تحليله إلى أن بناء المعرفة وتفريغها أضحى مرتبطا بالمفهوم التملكي أكثر من الآخر الممتزج بالكيان، فكما قد تمتلك أحدث الهواتف وتقود أكثر المركبات تطوراً، أنت اليوم تتلقى المعرفة وتتعاطى معها باعتبارها شيئاً تمتلكه لتبقيه لا لتعيد تدويره، بعكس أن تكون عارفا/ موهوبا/ مما يحول ما لديك إلى شكل من أشكل الكينونة الحيوية التي هي كيان متطور بحد ذاته، تتشارك معه ويشاركك لأنه أكبر بكثير من مجرد استحواذ اعتباطي .. ونمط « الكينونة « بشكل عام، هو الذي ينقل الأشياء من بعدها المادي المجرد إلى فضاء معنوي أوسع، ينتج إنساناً أكثر وعيا بما بين يديه .. وأكثر اتزانا في موضوع التحليل والاستنتاج وصناعة الابداع متناولا لمختلف الظواهر العامة .. وإنه من هذا المبدأ، لا يسعى لأن يستهلك لمجرد الاستهلاك فقط .. الذي يقوده إلى مجرد شعور لحظي بالرضا .. إنه يحاول من خلال كل ما يفعله، أن لا يصل إلى عتبة سعادة واهية بقدر ما يحاول أن يبقى كائنا متحركا فكريا باستمرار، ومن مجالات التحرك تلك يأتي السرد كعتبة مهمة.

هذا لا يعني هنا أننا لا نمتلك تجارب إماراتية وخليجية ملفته ومثيرة، لكنها وللمفارقة، تتناقص مع التطور الخارجي، مما يعني أن سؤال الكتابة في وجه التمظهرات الخارجية السطحية، قد يكون سؤالا ضروريا وملحاً في رحلة السرد الإماراتي / الخليجي اليوم إضافة لتوفير أرضية نقدية فاعلة في رصد المشهد السردي ، وهو من ذات المنطلق السؤال الذي لا زال يعتمل بداخلي وأنا مقبلة على تجربتي السردية الطويلة القادمة التي ستصدر قريبا، محاولة جديدة تختارني قبل أن أختارها كشكل للتعبير والتفاعل، والتجريب أيضا من حيث البناء التقني للحكاية والشخوص والمصائر فيها، ولعلي أوفق أو لا، فالأمر متروكٌ لرهان الوقت ومستويات التلقي بكل تأكيد.

■ (1) مفتتح رواية «لعلها مزحة» – صالحة عبيد – منشورات المتوسط 2018

الأجنحة الشيطانية

مهدي سلمان

(للأفكار أجنحة)، حتى الشريرة منها، بل ربما يكون للأفكار الشريرة أجنحة أكثر بكثير مما لدى تلك الخيّرة، ذلك أنها عادة ما تكون مدعومة بالمال، والسلطة والإعلام ومراكز القوة والإغراءات، وفوق هذا أيضاً، هي مدعومة بجهل العامة، وبأوهامهم وطموحاتهم وانتهازيتهم، وافتقارهم إلى تحديد أولوياتهم، ووقوعهم الساذج فيما ينصب لهم من شراك.

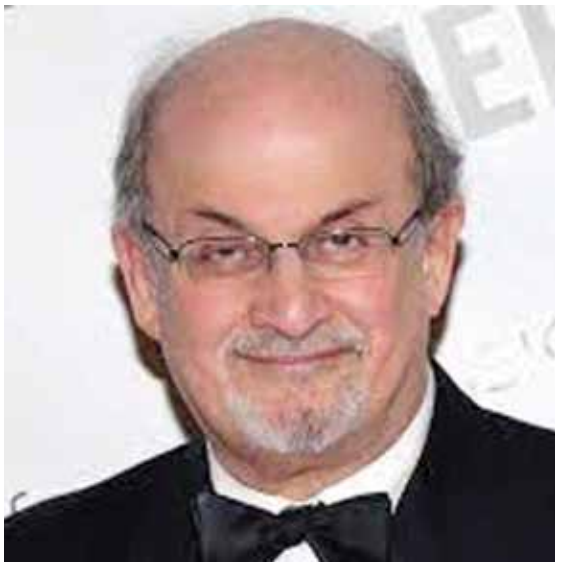

سلمان رشدي

إلكسندر دوغين

قبل فترة بسيطة وقعت حادثتان تبيّنان ما للأفكار الشريرة من أجنحة، ففي 12 أغسطس الماضي، تعرّض الكاتب البريطاني سلمان رشدي لمحاولة اغتيال عبر طعنه عدّة طعنات في مؤتمر كان يشارك فيه، وبعدها في 20 من نفس الشهر، تعرّض الفيلسوف الروسي إلكسندر دوغين، لمحاولة اغتيال عبر تفخيخ سيارة ابنته التي كان من المفترض أن تصحبه فيها، راحت الابنة داريا، الكاتبة والناشطة السياسية، ضحية لمحاولة الاغتيال، وبالرغم من تسليمنا برفض العنف ضد الأفكار بشكل مطلق، إلا أن قراءة سريعة لتعاطي المثقفين العرب مع الحادثتين، قد يعطينا دليلاً على الريش المتساقط عن أجنحة الأفكار الشريرة، ففي الحادثة الأولى، تنادى مثقفون عرب للتنديد بالحادثة، والتبرؤ منها، ورفضها وشجبها، فيما كان تعاطيهم مع الحادثة الثانية، باهتاً، متجاهلاً، وغير مكترث. وهذا يجعل السؤال حول الدوافع مشروعاً، فما الذي حثّ المثقف العربي، بوعي أو بدون وعي، على إعلان تعاطفه السريع العميق مع رشدي، وما الذي دعاه لغضّ الطرف عن الحادثة الثانية وقد وقعت الحادثتان في نفس الأسبوع تقريباً؟ إنني أعتقد أنها منظومة القيم التي تحكم الثقافة العربية اليوم، فرشدي هو الكاتب المدلل لدى الغرب، النموذج الأيقوني (لحرية التعبير) بحسب المفهوم الرأسمالي الغربي، والضحية الشهيدة حية للأفكار المتخلفة، بينما داريا وأبوها ليسا سوى كاتبين متعصبين، يسعيان لمناهضة المشروع الغربي، وعلى المثقف العربي، الذي أخذ أفكاره حول القيم وحول المفاهيم العليا من هذا الغرب، أن ينبري لإعلان براءته من (التخلّف) الشرقي، بينما لا يعنيه أن يعلن براءته من التخلّف الغربي! إن أول ما يلفت النظر في ذلك، هو الازدواج المهين للعقل، في طريقة التعاطي بين الحادثين، ها هي أجنحة الأفكار الغربية صافات تصفّق في هذا الجانب، وترتخي وتنقبض على الجانب الآخر، إذن، فإن الساقط الأول في هذا التأمل، هو فكرة (حرية التعبير) نفسها، إذ ليس لدى النموذج الغربي تقدير لحرية التعبير إلا في جوانب محددة، قد تكون أوسع من غيرها، ربما، لكنها محددة، يضع خطوطها الحمراء بناء على مصلحة ما، وبحسب وجهة نظره، ففي الغرب مثلاً، هنالك قوانين (معاداة السامية) التي تعاقب كل من يشكّك في المحرقة، أو يتناول ما له علاقة باليهود، لكنه يرفض إقرار قوانين (المسّ بمقدّسات الشعوب) بل بحجة حرية التعبير، يحرّض على إثارة الفتن، ويورّط كتّاباً في عداوات مع شعوب وأتباع أديان، من أجل أهداف أخرى، لا أظن من بينها حرية التعبير. هذا التوريط لا يكون مباشراً، إنما هو نتيجة طبيعية لعملية سيطرة فكرة ما على مجمل ثقافي عالمي، إنه كما يمكن التعبير عنه بأثر الجناح نفسه، فحين يتم الترويج لأفكار بعينها، وتقصى الأفكار الأخرى، وينزّل من قيمتها، وتحارب، فهذا لا ينتج إلا أمرين، مزيد من الترويج للفكرة بداعي الانتشار، وبداعي التقدّم، ومزيد من الشعور بالحنق في مقابلها.

إننا نعيش عالم تحكمه أجنحة الأفكار الغربية، وآلته الإعلامية الكبيرة والمهيمنة، ليس في الجوانب السياسية فحسب، إنما وقبل ذلك في الجانب الثقافي والمعرفي والفلسفي الذي يرسم بدوره الطريق للجانب السياسي ليمارس سلطته وهيمنته، ليس من باب الصدفة إذن، الترويج لكتب وروايات بعينها، وكتّاب بعينهم، ليس من جانب الصدفة إذن، الترويج لفلسفات بعينها، وليس من قبيل الصدفة، أن تتغيّر الفلسفات والأفكار، تليها أجنحتها، بحسب العدو الذي تفترضه الفكرة الرأسمالية المتوحشة، فتروّج للفلسفات الأنانية، من أجل طمس الفلسفات التضامنية، وتروّج لقيمة حرية التعبير، من أجل طمس قيمة الاحترام المتبادل، الغرب الرأسمالي الذي ظل وما يزال يحاول طرد شعب بأكمله من أرضه، وإعطائها للفيف من المرتزقة بحجة (دينية) هل من الممكن التصديق أنه مع الحقوق؟ الغرب الرأسمالي الذي يدافع ويصطف ويقف خلف أنظمة رجعية، ديكتاتورية، متسلّطة، ويتغاضى عن قتلها لشعوبها طالبة الحرية، من أجل تقاسم امتصاص ثروات الشعوب في العالم مع هذه الأنظمة، كيف يمكن التصديق أنها مع الحرية! الغرب الذي يسقط الأنظمة المنتخبة إن لم تأتِ على هواه، كيف يمكن القبول بأنه مع (الديمقراطية)! لا ديمقراطية، ولا حرية، ولا حقوق، إنما هي مصالح.

إن ما يجعل الرأسمالية قائمة بتسلطها للآن، بالرغم من وضوح بشاعتها، وتجلّي وحشيتها، هو تلك الأجنحة الشيطانية لأفكارها، بل إن ما أسقط الأفكار الخيّرة على مرّ العصور، ليس أن الأفكار المقابلة أشدّ إقناعاً، أو أقوى حجة، وتأثيراً، إنما هي تلك الأجنحة الشيطانية التي تستثمرها للتصفيق في وجه كل فكرة مناقضة، آلة الهيمنة العظيمة التي حوّلت وما تزال العالم إلى مصدر وحيد للأفكار.

الآن، إنما ينبغي على المثقفين، إدراك أين يذهب هواء أجنحتهم المصفقة، وأي قطعة من القطع سيطيح بها، ولمصلحة من؟ قبل البدء في رفعها والتلويح بها. ليس عسيراً أن يكون لك قيم تتبناها، لكن العسير حقاً أن تدافع عن قيمك في أي مكان، وفي أي جانب، وأن تتحد معها بحيث تراها واضحة هي لا ما يحدّده الآخرون عنها، وأن تفهم وتعي من أين تأتي هذه القيم، والغاية التي لها، والإحاطة الحقيقية، بما يمكن أن تفضي إليه.

قال إن الكتابة حررته من الشّقاء الوجوديّ

محمـــد شكـــري عـــن قـــرب

لم تفاجئني شخصية الاديب المغربي محمد شكري حين التقيته في صيف عام ٢٠٠٢، فلقد وجدته شديد الشبه بأبطال رواياته الشهيرة، بدا لي رغم شيخوخته كصعلوك متسكع يجول المدينة بحثاً عن صيد جديد يتلهى به ويبدد وحشة ايامه، كنا نستقل حافلة صغيرة لنقلنا من طنجة إلى أصيلة حيث يقام المهرجان الثقافي السنوي في دورته الرابعة والعشرين، صافحته وطلبت منه الاتفاق على اجراء مقابلة صحفيه معه، قال: امهليني فأنا احتاج الى مزاج خاص جداً للتحدث الى الصحافة.

عصمت الموسوي

وكنت اختار مقعدي يوميا على مقربة منه على مائدة الافطار لتبادل الحديث، وأرى الصحافيين يتحلقون حوله بينما يمارس عليهم فعل التدلل والتمنع والتعالي والانشغال بحجة المرض وتعكر المزاج وانتظار الوقت الملائم للكلام، كان يلتهم الزبدة والعسل بيديه ربما انتقاما من الخبز الحافي، رغم أنه كان وقتها في عزّ مرضه، اذ توفي بعد هذا اللقاء ب9 اشهر عن 68 عاما، وكنت أسمعه وهو يطلق الصرخات الفجائية متأوهاً من أوجاعه. يدّس يديه في جيبه ويبتلع كمية كبيرة من الأدوية ويواصل يومه، وحين يتأخر في النزول صباحاً يساور الجميع الشك في أنه قد يكون مات في فراشه.

غاب شكري عن كل منتديات أصيلة وورشها الفنية وتجمعاتها الأدبية، ولم يحضر سوى حفل الختام وليلة الاحتفاء بنهاية الموسم، وحين وقع الاختيار على الأديب السوداني الطيب صالح لنيل جائزة اصيلة، لم يتورع شكري من ابداء غضبه ورفضه بصوت عال بلغ مسامع الطيب صالح، معللاً أن هذه الجوائز يجب ان تذهب إلى الأدباء والكتّاب الشبان كي تعينهم في مسيرتهم، فماذا يفعل هذا الدرويش العجوز بالأموال؟

في اليوم الأخير وقبل مغادرتي المدينة منحني شكري فرصة اجراء اللقاء معه، اختار مطعماً من مطاعم الأسماك الكثيرة المنتشرة في أصيلة، قال كلاما كثيرا وجريئا عن زملاءه ومجايليه من الأدباء. نشرت أجزاء منه في صحيفة «الأيام» بعد وفاته: وسألني: ماذا تريدين ان تسمعي مني، بلدكم البحرين لا أعرف عنها شيئا سوى الشاعر قاسم حداد، أما الأدب النسائي العربي فلا أعترف فيه إلا بفاطمة المرنيسي ونوال السعداوي وغادة السمان، وفي اللقاء ركزّ على نقطة محورية وكيف أن الكتابة حررته من الشقاء الوجودي ومن كل الأشياء التي كرهها في حياته، الفقر والمال والأسرة وبعض الناشرين العرب الذين اتهمهم بسرقة اعماله وطبعها من خلف ظهره .

«وفي حياتي عرفت العوز والفقر، ثم أصبحت أديباً وتدفق المال في يدي ولم اعد أعاني من عقدة نقصه وحققت عبره كل الامنيات التي عزت علي حين كنت صغيراً، لقد انتقمت من المال أخيراً»

«أعانتني الكتابة على التحرر والانعتاق من أشياء وعلاقات مؤذية كرهتها في حياتي بما في ذلك أسرتي التي حاربتني وتبرأت مني رغم انها لم تترك لي رأسمالاً اعتاش منه وتركتني فقيراً متسولاً».

الحب أخذت نصيبي منه وتجاوزته، لم أرد أن أتزوج أو أن اصبح أباً، كي لا اكون سيئا على شاكلة والدي".

"لو لم أكتب لانتحرت منذ زمن طويل".

ما دمت حياً فلا أخشى الموت، ولست نادماً على أي شيء، أعيش مطلق الحرية التي ينشدها أي إنسان حرّ وطليق، وإذا متّ أعود إلى طنجة التي تزوجتها زواجاً كاثولوكياً لا انفصام فيه، اذا مت اعود الى طنجتي".

التقدمي

التقدمي العدد 179 ـ أكتوبر 2022 السنة العشرون SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

اسمك منفى

سوسن دهنيم

1
ذاكرتي محض مرض
اسمك منفى
وأنت وهم
***
2
أدمنت أخطاءك التي ترسم البريق في عينيَّ
وتحرقني
***
3
أدرك الليل
أن ابتسامتك باتت القمر
ودمعتي نجمة على أعتاب ظلمته
***
4
لملمني وأنا أنفض مني ما علق من شظايا تبعثري
حين لم أجدك تبتسم لصوتي
***
5
همس لي: أناملك بوصلتي نحو الفرح
....
ولم يَدرِ أن أناملي دخلت معه جنةً من ذهول!
***
6
كلّما حرّضَتني المسافةُ على نسيانك
أتعثرُ بطعم قبلةٍ لم نقطفها على رصيفٍ مهملٍ ذات تسكع.
***
7
تُرى كيف يكون شكل الوجع
حين يسكن قلب رجلٍ عاشق؟!
***
-8
البحر جسري لكفيك،
وفي المساء أبحث عن عطرك العالق في الموج منذ الصباح
Top of Form
***
-9
قلبي الذي غادرني هذه المرة نسي أن يترك فتات الخبز في الطريق
كي تعود إليّ قبل أن تأكلها عصافير الأشواق
وكبقية المشاهد في المسلسلات الكرتونية
سأنسى أن أفتح له الباب، وحين يهطل المطر لن يبتل أثناء
انتظاره
***
-10
كجملةٍ ناقصة قرأتُ صباحي اليوم
لأنك لم تزينه بقبلة
***
-11
المطر وصوت فيروز: "وافترقنا شو بنا"
يتآمران على ذاكرتي المتماثلة للنسيان
يجعلاني أهمس: